كتاب الأغاني

مصادره واسانيده

الدكتور داود سلوم

ان الباعث على تأليف كتاب الاغاني كان باعثا علميا بحتاً تحدوه الرغبة في التحقيق العلمي السليم ويدفعه الطموح الى تنفيذ منهج علمي قريب جهد الامكان من الحقيقة الكاملة المطلقة . فالكتاب رد على ما شاع في عصر المؤلف من آثار منحولة مفتعلة تنسب الى مشاهير اصحاب الصناعة الفنية في الغناء او غيره من الفنون وحاول خلال كتابه ان يرد على الشك ويشير الى المغالطة ويضع يد قارئه على المنحول من الاخبار وينبه على المستحيل ويضع علامة استفهام فوق ما لم تسعفه فيه الرواية لارجاعه الى اصوله الاولى ... فهذا هو يذكر الدافع الاول لتأليف هذا الكتاب الضخم .

قال مؤلف الكتاب :

«والذي بعثني على تأليفه ان رئيسا من رؤسائنا كلفني جمعه له وعرفني انه بلغه ان الكتاب المنسوب الى اسحق مدفوع ان يكون من تأليفه وهو مع ذلك قليل الفائدة وانه شاك في نسبه لان اكثر اصحاب اسحاق ينكرونه ولان ابنه حمادا اعظم الناس انكارا لذلك وقد لعمرى صدق فيما ذكره واصاب فيما انكره»[1] ويحاول ابو الفرج ان يبرر لنا طريقة التأليف التي قد تبدو غريبة لقراء عصره والظاهر انها طريقة جديدة في ترتيب المؤلفات لم تكن معهودة في زمنه ولذا فهو يحاول ان يشرحها ويبررها .

قال مؤلف هذا الكتاب :

«ولعل من يتصفح ذلك ينكر تركنا تصنيفه ابوابا على طرائق الغناء او على طبقات المغنين في ازمانهم ومراتبهم او على ما غنى به من شعر شاعر والمانع من ذلك والباعث على مانحوناه علل .

منها : انا لما جعلنا ابتداءه الثلاثة الاصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين واولهم ابو قطيفة وليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول ثم عمر ابن ابي ربيعة ثم نصيب فلما جرى اول الكتاب هذا المجرى ولم يكن ترتيب الشعراء فيه الحق اخره باوله وجعل على حسب ما حضر ذكره وكذلك سائر

(١) الاغاني حـ ١ ص ١٦

المائة صوت المختارة فانها جارية على غير ترتيب الشعراء المغنين وليس المغزى في الكتاب ترتيب الطبقات وانما المغزى فيه ما ضمنه من ذكر الاغاني باخبارهما وليس هذا مما يضر فيها ...[٢] » .

وحاول ان يدافع عن طريقته هذه ويقلد الجاحظ في دفاعه عن طريقته في التأليف وخلط الجد بالهزل فيها فيقول :

« واذا كان هذا هكذا فما رتبناه احلى واحسن ليكون القارىء باتنقاله من خبر الى خبر ومن قصة الى سواها ومن اخبار قديمة الى محدثة ومليك الى سوقه وجد الى هزل انشط لقراءته واشهى لتصفح فنونه لا سيما والذي ضمنّاه اياه احسن جنسه وصفو ما الف في بابه ولباب ما جمع في معناه...[٣] » .

وشرح الخطة التى اتبعها في تأليف الكتاب في بدايته ليكون القارىء على اطلاع ومعرفة وفصل خطته بما يلي :

« ووقع على اول كل شعر ـ فيه غناء ـ (صوتا) ليكون علامة ودلالة عليه يتبين بها ما فيه صنعة من غيره وربما اتى في خلال هذه الاصوات واخبارها اشعار قيلت في تلك المعاني وغنى بها وليست من الاغاني المختارة ولا من هذه الاجناس المرتبة فلا يوجد من ذكرها معها بد لانها اذا افردت عنها كانت اما منقطعة الاخبار غير مشاكلة لنظائرها او معادة اخبارها وفي كلتا الحالتين خلاف لما يجيء به هذا الكتاب وقد يأتي ايضا منها الشيء الذي تطول اخباره وتكثر قصص شاعره مع غيره من الاصوات والاخبار فلا يمكن شرحها جميعا في ذلك الموضع لئلا تنقطع الاخبار المذكورة بدخوله بينها فيؤخذ ذكره الى مواضع يحسن فيها ونظائر له يضاف اليها غير قاطع اتساق غيره منها ولا مفرد للقرائن بتوسطه لها ويكون ذكره على هذه الحال اشكل واليق » [٤]

وقد اعتمد ابو الفرج الاصفهاني في كتابه هذا تقديم المائة الصوت التي اختارها للرشيد كل من ابراهيم الموصلي واسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء واستقصاها في نهاية الجزء الثاني عشر وذكر الزيانب (وهى الحان يونس الكاتب في شعر ابن رهيمة) في الجزء الرابع وذكر اخرها في الجزء التاسع وذكر الاصوات التي تجمع «النغم العشر» فذكرها في الجزئين الثامن والتاسع وذكر الصوت الذي يجمع من «النغم ثمانيا» فذكره في الجزء التاسع . اما «الارمال

---

(٢) الاغاني حـ ١ ص ١٤

(٣) الاغاني حـ ١ ص ١٥

(٤) الاغاني حـ ١ ص ١٣ـ١٤ يبدو ان النص هنا ليس لابي الفرج وانما لكاتب اخر قدم للكتاب .

الثلاثة» المختارة فذكرها كلها في الجزء التاسع • اما «اصوات معبد» وهي «الدوامة» و «المنمنم» و «معقصات القرون» و «مقطع الاثفار» فقد ذكرها كلها في الجزء التاسع • اما «مدن معبد» او «حصون معبد» فقد ذكرها في الجزء التاسع ايضا وكذلك «اصواته الثلاثة» في قتيلة • وذكر في هذا الجزء ايضا «سبعة ابن سريج» وذكر فيه «الحان عمر بن عبدالعزيز في سعاد» •

«واتبع ذلك باغاني الخلفاء واولادهم ثم بسائر الغناء الذي عرف له قصة تستفاد وحديثا يستحسن اذ ليس لكل الاغاني خبر نعرفه ولا في كل ماله خبر فائدةولا لكل ما فيه بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويلهي السامع»[٥] • والف ابو الفرج الاصفهاني كتابا اخر للاغاني وقال عنه : ــ

«ولم يستوعب كل ما غنى به في هذا الكتاب ولا تلى بجمعه اذ كان قد افرد لذلك كتابا مجردا من الاخبار ومحتويا على جميع الغناء المتقدم والمتأخر واعتمد في هذا على ما وجد لشاعره او مغنيه او السبب الذي من اجله قيل الشعر او صنع اللحن خبرا يستفاد ويحسن بذكره ذكر الصوت معه على اقصر ما امكنه وابعده من الحشو والتكثير بما تقل الفائدة فيه » [٦]

وقال عن الكتاب الحالي :

« واتبع ذلك باغاني الخلفاء واولادهم ثم بسائر الغناء الذي عرف له قصة تستفاد وحديثا يستحسن » ولم يشترط في الكتاب الحالي الايجاز والاختصار ونرى ان قوله عن كتابه الاول « مجرد من الاخبار » لم يعن بها الا الاخبار الطويلة واخبار التاريخ وما اليه ••••

والكتاب وان كان هدفه الاول هو الاصوات المغناة فانه قد حوى على اشياء اخرى حتى اصبح من اضخم الكتب المؤلفة في الادب العربى •

فقد حوى كتاب الاغاني على مجموعة ضخمة من اخبار التاريخ العربى قبل الاسلام وبعد الاسلام وقد ذكر فيه الوقائع الاولى والحروب الدامية في العصر الاموي والنزاع السياسي حول السلطة والاغتيالات السياسية ومالياها•

كما حوى الكتاب على مجموعة ضخمة من اخبار الادب والنقد والشعراء وعلاقتهم بالمجتمع والسلطة •

وكان نصيب الادب العباسى حصة الاسد من ذلك وكانت هذه المعلومات ذات فائدة لان المؤلف عاش في العصر العباسى فجاءت اخباره دقيقة بعد ان

---

(٥) الاغاني حـ ١ ص ١٣

٦) الاغاني حـ ١ ص ١٢

اخضعها للنقد والتمحيص في الوقت الذي يتعذر عليه ذلك في الاخبار التي سبقت هذا العصر الى حد ما .

وفي ثنايا الكتاب اخبار غريبة ومفيدة عن المغنين وسلوكهم واحوالهم ومعاشهم واخلاقهم وما اليه وهي مادة لا تتوفر في مصادر اخرى بهذه الكثرة وهذه الطرافة دون شك ...

وقد استفاد المؤلف من كل المصادر التي جهزها له عصره الذي نشطت فيه الحركة العلمية نشاطا لم يتوفر للعصور السالفة السابقة . فقد افاد من الرواية والمرويات وتتلمذ لمدرسة واسعة من رواة الاخبار على اختلاف منازعهم ومشاربهم وأفاد من جميعهم دون تميز في درجة الرواية العلمية قد روى عن كل انسان كل في حقل اختصاصه وعمله .

وافاد من مصادر التاريخ والسير وايام العرب وتاريخ الغزواتوالحروب والمعارك جميعها ... واستخدامها في مكانها الملائم المناسب .

واستخدم كتب الادب ومصادره استخداما مفيدا ونقل منها ما يحتاجه دون غمص لحقوق الغير فقد احتفظ للمؤلفين بفضلهم فذكرهم وذكر اثارهم وذكر ما اقتبس مما كتبوا واشار الى الاثار المنحولة او المنسوبة لغير مؤلفيها فكان قد احاط قارئه مقدما بنوع الاثار التى ينقل عنها .

واستخدم كتب الغناء وتاريخ الموسيقى والفنانين في اعطائنا المعلومات الضرورية عن اساطين الغناء والفنانات وهو يدهش احيانا في توجيه كل هذه المعلومات وجهة جديدة في كتابه السيرة تتسم بالطرافة والجدة والصراحة والامانة والبعد عن التعصب والانكماش الا في النادر .

واظهر مع كل ذلك ذكاء عجيبا في مناقشة الروايات والاخبار ورفض منها ما لا يقبله العقل رفضاً باتاً وسخر من الرواة الذين يضعون الاخبار او يروونها اعتباطا دون تحقيق .

ويمكن ان نقسم المصادر التى استقى منها وذكرها في كتابه وبنى عليها احكامه الى ما يلي :ـ

١ ـ الكتب والمراجع التاريخية والادبية

واستخدم لعبارة الاقتباس عدة تعابير منها :ـ

«نسخت» او «قرأت» او « وجدت في كتاب ... » او « قال ... في كتاب ... » او «ذكره ... في ... » او « في كتاب ... » ولعل اكثر الكلمات دورانا هي كلمة « نسخت من كتاب ... »وهذه قائمة

بهذه المراجع التي نسخ منها وقرأ فيها ونقل عنها .

وهي قائمة شبه كاملة الا ما فات النظر ويمكن ان تقسم الى :ـ

أ ـ المراجع المباشرة :

احمد بن سعيد ـ « نسخت من كتاب ... »[٧] .

احمد بن القاسم ـ « نسخت من كتاب ... »[٨] .

ابن اسحق [٩] (في السيرة) وذكر في عدة اماكن ولم تتتبع ذلك لشهرة الرواية .

احمد بن يحيى البلاذري : «قرأت في (كتاب) ... »[١٠] .

احمد بن الحارث الخراز : « نسخت من (كتاب) احمد بن الحارث مما اجازلي ابو احمد الجريرى روايته عنه ... » [١١] .

احمد بن يحيى الثعالبي : « نسخت من كتاب ... » [١٢] .

احمد بن كامل : «وجدت في كتاب بخط احمد بن كامل »[١٣] .

احمد بن علي بن يحيى : « نسخت من كتاب ... » [١٤] .

(ابن)الاعرابى : « نسخت من كتاب ... » [١٥] .

جعفر بن قدامه : «نسخت من كتاب ... »[١٧] .

الجاحظ : « قال ... في كتاب البيان والتبين » [١٧] .

جحظة (احمد بن جعفر) : « قرأت على احمد بن جعفر جحظة ما ذكره عن ابي حشيشة في كتابه الذي الفه في (اخبار مراتب الطنبوريين والطنبوريات) [١٨] .

حماد بن اسحق (بن ابراهيم الموصلى) : «نسخت من كتاب لـ ...»[١٩]

---

(٧) الاغاني ٢ ص ١٤٢ و حـ ٩ ص ١٢٩ و حـ ٢٣ ص ٦٠

(٨) الاغاني حـ ٣ ص ٧٩

(٩) الاغاني حـ ٤ ص ١٧٦ـ٢١٢

(١٠) الاغاني حـ ٤ ص ٢٦٩

(١١) الاغاني حـ ٤ ص ٣١٧ وحـ ١٠ ص ١٦٦ وحـ ٢٣ ص ٢٧٢

(١٢) الاغاني حـ ١٣ ص ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣

(١٣) الاغاني حـ ١٣ ص ٢٢٨

(١٤) الاغاني حـ ١٤ ص ١٣٤

(١٥) الاغاني حـ ١٣ ص ٣٢ ، ٨٨

(١٦) الاغاني حـ ١ ص ٥٨

(١٧) الاغاني حـ ٣ ص ١٣٨

(١٨) الاغاني حـ ٢٢ ص ٥٠٧

(١٩) الاغاني حـ ٢ ص ١٤٧

حبيش الصيني : « وفي كتاب ... وهو رجل لا يحصل ما يقوله ويرويه » [٢٠] .

ابو حشيشة : « نسخت من كتاب الفه .... وجمع فيه اخباره مع من عاشره من الخلفاء وهو كتاب مشهور » [٢١] .

الحرمي بن ابي العلاء : « نسخت من كتاب ... » [٢٢] .

(ابن) حبيب : « نسخت من كتاب .... » [٢٣] .

الحزنبل : « نسخت من كتاب ..... » ٢٣ ص ٣٨ .

حكاية : قرأت هذه (الحكاية) مروية عن (الاصمعي) غير مذكور راويها عنه » [٢٤] .

(ابن ابي) خثيمة : « نسخت من كتاب ... » حـ ٢٣ ص ٣٨ .

«ونسخت من كتاب ابن ابي خثيمة عن ابيه عن مصعب الزبيري» [٢٥] .

خالد بن جميل : « وخالد بن كلثوم في (اخبارهما) التي صنعاها » (حـ ٢ ص ٢٥) .

(ابن ابي) الدنيا : « نسخت من كتاب .... » [٢٦] .

(ابن ابي) السرى : «نسخت خبرها من كتاب ... » [٢٧] (حـ٢٢ص٥٨١).

(ابن ابي) سعيد : « نسخت من كتاب ... » [٢٨] .

(ابو) سعيد السكري : « وجدت هذا الخبر بخط ابي سعيد السكري » [٢٩] .

« نسخت من كتاب .... » [٣٠] .

« نسخت من كتاب لـ .... بخطه » [٣١] .

« نسخت من كتاب ابي سعيد السكري في (كتاب من قال بيتا

---

(٢٠) الاغاني حـ ٣ ص ١٢٦
(٢١) الاغاني حـ ٢٢ ص ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٥ ، ٥١٦
(٢٢) الاغاني حـ ٤ ص ٣٤١
(٢٣) الاغاني حـ ١٣ ص ٥٩
(٢٤) الاغاني حـ ١٦ ص ٢٣٠
(٢٥) الاغاني حـ ١١ ص ٣٢
(٢٦) الاغاني حـ ١٥ ص ٣١١
(٢٧) الاغاني حـ ٢٢ ص ٥٨١
(٢٨) الاغاني حـ ٥ ص ٢٥٢
(٢٩) الاغاني حـ ٢ ص ٢٨٨
(٣٠) الاغاني حـ ٢٣ ص ٢٧٢
(٣١) الاغاني حـ ١٣ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ (نقل مرتين) ص ٣٢٦ وحـ ١٦ ص ١٢

فلقب به) ... » [٣٢] .

الشاهيني : « نسخت من كتاب ... » [٣٣] .

العتابي : « نسخت من كتاب ... » [٣٤] .

(ابو) عمروالشيباني : « وجدت في كتاب ابي عمرو الشيبانى فعرضته على ابى داود فعرفه او عامته » [٣٥] .

« نسخت من ..... » [٣٦] .

« نسخت اخبار (حاجز) من رواية ابي عمرو الشيباني من كتاب بخط (المذهبي) ... » [٣٧] .

عمر بن ابي عمرو الشيباني : « نسخت من كتاب ... » [٣٨] .

عمر بن محمد عبد الملك الزيات : « نسخت من كتاب ... بخطه » (ح٢٢ ص ١٨٦) .

علي بن سليمان الاخفش : « اخبرني ... في (كتاب المغتالين) قال ... » [٣٩] .

(ابو) عبيدة : « وجدت هذه (الحكاية) عن ابي عبيدة مذكورة عن دماذ عنه » .

عبدالله بن خلف : « نسخت من كتاب ... » [٤١] .

عبد الله بن محمد اليزيدي : « نسخت من كتاب ... بخطه » [٤١] .

علي بن محمد الكوفي : « نسخت من كتاب ... » [٤٢] .

علي بن محمد بن نصر : « نسخت من كتاب ... بخطه » [٤٣] .

---

(٣٢) الاغاني حـ ١٩ ص ١٣٢ وحـ ٢٢ ص ٢٩٨

(٣٣) الاغاني حـ ٧ ص ٢٤٥ وحـ ٢٣ ص ٣٣٠

(٣٤) الاغاني حـ ١ ص ٢٩٣

(٣٥) الاغاني حـ ٢ ص ٢٩٥

(٣٦) الاغاني حـ ١٠ ص ١٦٠ ، ١٦١ ،وحـ ١٣ ص ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ وحـ ١٤ ص٣٧٧ .

(٣٧) الاغاني حـ ١٣ ص ٢١٢

(٣٨) الاغاني حـ ٣ ص ٢٦٧ ، حـ ١٧ ص ١٨٢

(٣٩) الاغاني حـ ٦ ص ٢١١

(٤٠) الاغاني حـ ٧ ص ٢٤٠ ، ٢٤١

(٤١) الاغاني حـ ١١ ص ٢٤٢ وحـ ١٢ ص ٢٥٨ ، ٢٨٣ وحـ ١٣ ص ٥٧ وحـ ١٧ ص ٢٥٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦

(٤٢) الاغاني حـ ١٣ ص ١٨٣ ، ١٨٥

(٤٣) الاغاني حـ ١٤ ص ٢٠٢

عبد الله بن المعتز : نسخت من كتاب ... »[٤٤] .

علي بن اسماعيل : «نسخت من كتاب ... »[٤٥] .

علي بن اديم : «هو رجل من تجار الكوفة كان يبيع البزوكان متأدباصالح الشعر يهوى جارية يقال لها منهلة ... فمات اسفا عليها وله حديث طويل معها في (كتاب) مفرد مشهور صنعه (اهل الكوفة) لهما .. وامرهما متعالم عند العامة وليس مما يصلح الاطالة به »[٤٧] .

عبد الاعلى بن حسان : « نسخت ... من كتاب ... »[٤٧] .

ابو (محلم) : « قال ابو الفرج ونسخت من كتاب ... »[٤٨] .

« نسخت من كتاب مروى عن ابي محلم ... »[٤٩] .

محمد بن الحسن الكاتب : ونسخت من كتاب ... » [٥٠] .

محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات : « نسخت من كتاب ... »[٥١] .

محمد بن طاهر : «نسخت هذا الخبر بعينه من كتاب ... »[٥٢] .

محمد بن موسى بن حماد : «نسخت هذا الخبر من كتاب ... »[٥٣] .

محمد بن العباس اليزيدي : « نسخت من كتاب ... بخطه »[٥٤] .

(ابن) مهرويه : « وجدت هذا (الخبر) بخط ... »[٥٥] .

محمد بن حبيب : « نسخت من كتاب ... »[٥٦] .

المرهبي الكوفي : « قال ابو الفرج ونسخت من كتاب بخط المرهبي الكوفي في شعر ثابت قطنه »[٥٧] .

---

(٤٤) الاغاني حـ ١٤ ص ٣١٦
(٤٥) الاغاني حـ ١٥ ص ٣١٧
(٤٦) الاغاني حـ ١٥ ص ٢٠٩
(٤٧) الاغاني حـ ١٧ ص ٢٣١
(٤٨) الاغاني حـ ٢ ص ٣٦٧
(٤٩) الاغاني حـ ١٥ ص ٢٩٦
(٥٠) الاغاني حـ ٩ ص ٢٦٣ وحـ ١٠ ص ١٨٤
(٥١) الاغاني حـ ١٠ ص ١٧١
(٥٢) الاغاني حـ ١٠ ص ١٨٤ وحـ ١٤ ص ٥٠ ، ٥٨ ، ٦٤
(٥٣) الاغاني حـ ١١ ص ١٥٧
(٥٤) الاغاني حـ ١٢ ص ٢٦١ ، ٢٦٦
(٥٥) الاغاني حـ ١٣ ص ٢٩٦
(٥٦) الاغاني حـ ١٣ ص ١٧
(٥٧) الاغاني حـ ١٤ ص ٢٥٥ و ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢

محمد بن داود بن الجراح : نسخت من كتاب ... »[٥٨] .(في كتاب الشعراء) .

محمد بن الحسن بن دريد : «نسخت خبره في ذلك من كتاب ...»[٥٩] .

محمد بن الليث : « نسختها من كتاب ... »[٦٠] .

(محمد بن صالح) بن النطاح : « نسخت من كتاب ... »[٦١] .

ابن المعتز : « نسخت ما ذكره ... فأنسبه الى ابن المعتز من كتاب دفعه الى محمد بن ابراهيم الجراحي المعروف بقريص واخبرني ان عبدالله ابن المعتز دفعه اليه من جمعه وتأليفه »[٦٢] .

ميمون بن هرون : « نسخت من كتاب بخط ... »[٦٣] .

النضر بن حديد : « نسخت ... من كتاب ... »[٦٤] .

الهيثم بن عدى : «ذكر الهيثم بن عدى في (كتاب المثالب)... »[٦٥] .

«ونسخت بعضه من كتاب منسوب الى الهيثم بن عدى »[٦٦] .

هرون بن علي بن يحيى : «نسخت من كتاب ... »[٦٧] .

هرون بن محمد الزيات : «نسخت من كتاب ... »[٦٨] .

« وجدت في كتاب .. »[٦٩] .

(ابو العباس) يحيى بن محمد ثوابه : « نسخت من كتاب جدى ... بخطه رحمه الله »[٧٠] . « نسخت من كتاب جدى لامي ... »[٧١] .

اليوسفي : « نسخت من كتاب اليوسفي (حـ٢٠ص٣٧٣ و ص٣٨٤) .

---

(٥٨) الاغاني حـ ١٩ ص ١٣٠

(٥٩) الاغاني حـ ١٧ ص ٣١٠ ، ٣١١ـحـ ٢٢ ص ٥٧٣ وحـ ٢٣ ص ٣١٩

(٦٠) الاغاني حـ ٢ ص ١٦٢

(٦١) الاغاني حـ ١٠ ص ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٠ وحـ ١٧ ص ٣١٣ ، ٣٤٠

(٦٢) الاغاني حـ ٢١ ص ٦٤ ـ ٩٥

(٦٣) الاغاني حـ ٢٢ ص ٢٧٠

(٦٤) الاغاني حـ ١٣ ص ٥٠ وحـ ١٤ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧

(٦٥) الاغاني حـ ١ ص ٢٤

(٦٦) الاغاني حـ ١ ص ٣٢

(٦٧) الاغاني حـ ٣ ص ١٤٣ ، ٢٠٠ (نقل ثلاث مرات) ٢٠٧ ، ٣٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٧٧ ، ٢٢٩ ،وحـ ٤ ص٢٩ ، ٣٣ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠١ (نقل مرتين) ١١١

(٦٨) الاغاني حـ ١٠ ص ١٩٣ وحـ ١٨ ص ٢٧٦

(٦٩) الاغاني حـ ١١ ص ١٧ وحـ ١٣ ص ٢٩٩ وحـ ١٥ ص ٤٦

(٧٠) الاغاني حـ ٩ ص ١٠٠ وحـ ١٤ ص ١٥٣

(٧١) الاغاني حـ ١٤ ص ٢١١ وحـ ١٨ ص ٣٢٦ ، ٣٤٤ وحـ ١٩ ص ٢٠٤

ب ـ المراجع بالواسطة :

(عن) احمد بن محمد بن الجعد : اخبرني ببعضه احمد بن محمد بن الجعد قال : حدثنا احمد بن زهير بن حـرب قال حدثني وهب بن جرير عن ابيه في (كتابـه) المسمى (كتاب الازارقة) .

(عن)الحسين (بن يحيى) : « اخبرني الحسين (بن يحيى) قال نسخت من كتاب حماد » (٧٢) .

الحرمي : « اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال : وجدت (كتابا) بخط محمد بن الحسن ذكر فيه ... » (٧٣) .

غيلان الشعوبي : « ثم نشأ غيلان الشعوبي لعنه الله وكان زنديقا لا يشك فيه ... فابدع (كتابـا) عملـه لطاهر بن الحسين وكان شديـد التشعب والعصبية ... فبدأ بثالب بني هاشم ... ثم بسائر العرب فالصق بهـم كل كذب وزور ... فيما بلغني » .

(عن) محمد بن خلف عن المزربان : « اخبرني محمد بن خلف المزربان قال : حدثني عبد الله بن اسماعيل بن ابي عبيد الله كاتب المهدي قال وجدت في (كتاب) ابي بخطه ... » (٧٤) .

(عن) ابن الكلبي « قرأت في بعض الكتب عن ... » (حـ٢٣ص٤٠٨).

(عن)وسواسة بن الموصلي : « اخبرنا وسواسة بن الموصلي وهو احمد بن سليمان بـن ابراهيم الموصلي » قـال : حدثني حماد بن اسـحق قال : « وجـدت في (كتب) ابي عن عثمان بن حفص الثقفى عن عـم لعمارة ابن حمزة قال ... » (٧٥) .

جـ ـ مراجع مجهولة المؤلف :

« لم اعرف لهذا الشعر لحنا في شيء من (الكتب) ولا سمعته » (٧٦) .

« وجدت هذا الخبر في بعض (الكتب) ... » (٧٧) .

لم اجده الا في (كتاب مصنوع) ... (٧٨) .

---

(٧٢) الاغاني حـ ١ ص ٥١

(٧٣) الاغاني حـ ١ ص ١١٢

(٧٤) الاغاني حـ ١ ص ٣٣٢

(٧٥) الاغاني حـ ٦ ص ٣٢١

(٧٦) الاغاني حـ ٣ ص ٣٢٢

(٧٧) الاغاني حـ ٥ ص ١٨٩ ، ٣٤٢

(٧٨) الاغاني حـ ٦ ص ٢٠١

« وجدت في بعض (الكتب) ... »[٧٩] .

« وجدت في (كتاب) مؤلف في النغم غير مسمى الصانع »[٨٠] .

« وانها وجد في (الكتب) انه صنع لحنا في شعره وذكره من لا يثق به ... »[٨١] .

نسخت عن بعض (الكتب) ...[٨٢] .

« وجدت في بعض الكتب بغير اسناد » .

« نسخت من (كتاب مترجم) بانه نسخ من نسخة عمرو بن ابي عمرو الشيباني »[٨٣] .

« وجدت في بعض (الكتب) بغير اسناد ... »[٨٤] .

« قال علي بن الحسين مؤلف هذا الكتاب هذه المعاني اخذها كلها ابو العتاهية من (كلام) الفلاسفة لما حضروا تابوت الاسكندر ... » .

د ـ الدواوين والمجاميع والاشعار :

«التمسناه في (شعر) كل اعشى ذكر في شعراء العرب فلم نجده»[٨٥] .

« قال مؤلف هذا الكتاب : هذه الاخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة كلها والتوليد فيها وفي اشعارها بيّن وما رأيت شيئا في (ديوان دريد بن الصمة) على سائر الروايات » .

« وهذا شيء قد ذكرته العرب في (اشعارها) وتواترت الروايات بذكره فذكرته والله اعلم » .

« انه ليس (لطرفة) ولا موجودا في (شعره) على سائر الروايات ولا هو ايضا مشبها لمذهب طرفة ونسطه ... » (الاغاني حـ٢ص٣٠٠) .

« وجدناه في (شعر) ابن المولى ... » .

« وجدتها في (شعر ابي محجن) له لما تاب من الشراب »[٨٦] .

---

(٧٩) الاغاني حـ ٧ ص ٢٦٧
(٨٠) الاغاني حـ ٩ ص ٤٣
(٨١) الاغاني حـ ٩ ص ٢٦٥
(٨٢) الاغاني حـ ١٠ ص ٢٥٩ ، ٣٠١ وحـ ٢٢ ص ٥٥٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ و ٥٧٩
(٨٤) الاغاني حـ ١٢ص١٤٦ وجـ ١٦ ص٢٤٠ وحـ ١٣ ص٢٩٧ وحـ ١٨ ص٥٦
(٨٣) الاغاني حـ ١٠ ص ٣٣
١٠١ ، ١٢٤ ، ٢٨٣
(٨٥) الاغاني حـ ٣ ص ٢٨٠
(٨٦) الاغاني حـ ١١ ص ٢٥٧

«ولم اجده في (قصيدته) ... »[٨٧] .

« ما وجدت هذا الشعر في شيء من (دواوين)عمر بن ابي ربيعة التي رواها (المدنيون) و (المكيون)وانما يوجد في (الكتب)المحدثة الاسانيد المنقطعة »[٨٨] .

« وهي (قصيدة) طويلة ذكرت منها ما فيه صنعة »[٨٩] .

« ما رأيت هذا الشعر في شيء من (دواوين) شعر عنترة »[٩٠] .

« اما من ذكره انه للنعمان بن بشير فابو عمرو الشيباني وجدت ذلك في (كتابه) وخالد بن كلثوم ، نسخته من خط ابى سعيد السكري في (جامع شعر النعمان) ... »[٩١] .

« ولم اجد هذه القصيدة في (شعر) ابن هرمه ... ووجدتها في رواية الاصمعي ويعقوب بن السكيت اثنى عشر بيتا فنسختها ها هنا للحاجة الى ذلك »[٩٢] .

« وطلبناه في (اشعار المرقشين) جميعا فلم نجده وكنا نظنه من شاذ الروايات حتى وقع الينا في (شعر داود بن مسلم)... »[٩٣] .

« ولم يذكر الزبير في خبره غير هذه الابيات الثلاثة وهي من (قصيدة) للرماح طويلة يمدح فيها الوليد بن يزيد ... وذكرت من مختارها ها هنا طرفا واولها »[٩٤] .

« هكذا يغنى والذي (قاله) عدى ... »[٩٥] .

« وغنى المغنون ... والذي قاله (الشاعر)في هذا الشعر فانه ... »[٩٦] .

هـ ـ كتب الغناء :

اسحق الموصلي : « ولا ذكر له غير اسحق سواهما الا ما هو مرسوم

---

(٨٧) الاغاني حـ ١١ ص ٢٥٩
(٨٨) الاغاني حـ ٢٢ ص ٤
(٨٩) الاغاني حـ ١ ص ١٧٤
(٩٠) الاغاني حـ ٨ ص ٢٣٤
(٩١) الاغاني حـ ١٥ ص ٣٣٨
(٩٢) الاغاني حـ ٤ ص ٣٧٩
(٩٣) الاغاني حـ ٦ ص ١٠
(٩٤) الاغاني حـ ٢ ص ٢٦٧
(٩٥) الاغاني حـ ٢ ص ١٢٨
(٩٦) الاغاني حـ ٢ ص ١٨٧

في (الكتاب) الباطل المنسوب الى اسحق فان له فيه شيئا كثيرا لا اصل له »[٩٧]

احمد بن يحيى المكي : « وكتابه المجرد في (الاغاني) ونسبها أصل من الاصول المعول عليها وما عرف كتابا بعد (كتاب اسحق) الـذي الفه كتابا يقارب كتابه ولا يقاس به »[٩٨] .

جحظة : « وذكره ... في (كتـاب الطنبوريين)بشيء ليس من جنس اخباره ولا زمانه وثلبه فيما ذكره »[٩٩] .

« ذكره ... في (كتاب الطنبوريين)»[١٠٠] .

(ابن) خرداذبه : «ذكر ابن خرداذبة وهـو قليل التحصيل لما يقولـه ويضمنه في (كتبه) ... »[١٠١] .

عمرو بن بانه : « ذكر ... من نسخته الاولى ان فيه للغريض خفيف ثقيل بالبنصر وذكر من نسخته الثانية لابن سريج »[١٠٢] .

عبد الله بن عبد الله بن طاهر : « وكتابه في النغم وعلل الاغاني المسمى (كتاب الاداب الرفيعة) كتاب مشهور جليل الفائدة دال على فضل مؤلفه»[١٠٣]

معبد : « وهذا الخبر مذكور في (اخبار) معبد في كتابي و (غـيره) ولكن ذكره ها هنا حسن فذكرته » .

٢ ـ الرسائل والاجازات :

اعتمد ابو الفرج في تأليفه كتاب الاغاني على مجموعة مـن الرسائل المتبادلة بينه وبين الرواة الاخرين او استلام اجازة في الرواية عـن الشخص الذي يمنحه الاجازة وكذلك على ما يجد من وثائق بين يديه مـن مخلفات الماضي القريب كالمراسلات والوثائق الرسمية وما اشبه ذلك وقد اهتم بمخلفات الماضي وتركات الاجيـال والمخلفات الحضارية مثل « كأس ام حكيم » .

فهو كما يبدو كان على اتصال دائم بعدد كبير من الرواة مـن الذين يكتب اليهم ويكتبون اليه من مختلف المدن والامصار الاسلامية ولم يكتف بما يروى عمن معه في الحضارة بغداد او اى مكان آخر يسكنه فهذا نموذج

---

(٩٧) الاغاني حـ ٣ ص ١٢٦
(٩٨) الاغاني حـ ١٦ ص ٢٤٠
(٩٩) الاغاني حـ ٦ ص ٦٢
(١٠٠) الاغاني حـ ١٤ ص ١٠٧
(١٠١) الاغاني حـ ٣ ص ٢٤٦ وحـ ٥ ص ١٤٤
(١٠٢) الاغاني حـ ٣ ص ٢٤٨ وحـ ٤ ص ٤١٣
(١٠٣) الاغاني حـ ٩ ص ٤٠

مما يقع في كتاب الاغاني حين يكتب الاخبار :

« (كتب) الى ابو ايوب المديني وخبره اتم قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن ابيه عن ابراهيم بن خالد المعيطي قال ... »[١٠٤] .

وقال : « اخبرني بخبره مع هذه الجارية ابو الحسن الاسدي قال حدثنا حمادين اسحق عن ابيه عن سعد بن سالم قال ...

هكذا ذكر ابو الحسن الاسدي في هذا الخبر وهو غلط ، نسخت خبر هذا من خط ابي ايوب المدائني عن حماد ولم يقل عن ابيه عن سعيد ابن سالم عن مطيع قال : كانت لي بالرى جارية ... »[١٠٥] .

اما عدد الذين اعتمد على مروياتهم عن طريق الاجازة فلا يمكن ان يحدد منهم لا شك عدد كبير قد يصل الى عدد الرواة الذين روى عنهم مباشرة . وهذا نموذج من اسماء هؤلاء الرواة .

... اخبرني احمد بن عمر بن موسى بن زكويه القطان (اجازة)»[١٠٦]

وقال : « اخبرني يحيى بن علي (اجازة) ... »[١٠٧] .

وقال : «اخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي (اجازة) ... »[١٠٨] .

واعتمد في جميع معلوماته على الرسائل الشخصية كان كثير التثبت فيذلك وعلى معرفة بخط المشهورين او الذين قد روى عنهم والظاهر ان للناسخ في زمنه وزن خاص وهناك من النساخ الذين لا ينسخون الا الكتب المعتبرة او الموثوقة منهم كدور النشر الممتازة التى لا تقوم الا على طبع الا الكتب المعتمدة او الممتازة او التي لا تنشر الا للكتاب الكبار .

فهو حين ينقل عن المراجع المباشرة ولا يريد ذكر المؤلف يذكر اسم الناسخ وفي هذا كما يبدو دليل كاف على قيمة الكتاب واطمئنان القارىء فقد قال :

« وجدت في كتاب بخط احمد بن كامل »[١٠٩] .

« وقال : نسخت اخبار حاجز من رواية ابي عمرو الشيباني من كتاب بخط المرهبي »[١١٠] .

---

(١٠٤) الاغاني حـ ٣ ص ٣٠٠

(١٠٥) الاغاني حـ ١٣ ص ٣٣٠-٣٣١

(١٠٦) الاغاني حـ ٢ ص ٣٠

(١٠٧) الاغاني حـ ٤ ص ١٧

(١٠٨) الاغاني حـ ١٨ ص ٤٤

(١٠٩) الاغاني حـ ١٣ ص ٢٢٨

(١١٠) الاغاني حـ ١٣ ص ٢١٢

وقال : « وجدت هذا (الخبر) بخط ابن مهرويه ... » .

وقال : « قال ابو الفرج : ونسخت من كتاب بخط المرهبي الكوفي في شعر ثابت قطنة »[١١١] .

والظاهر ان منزلة المرهبي كناسخ ثقة في عصره كانت على درجة كبيرة من الاحترام .

وكان على معرفة بخطوط جماعة من الرواة والمؤلفين منهم : ابو سعيد السكري [١١٢] وعبد الله بن محمد اليزيدي [١١٣] وعلي ابن محمد بن نصر[١١٤] ومحمد بن العباس اليزيدي [١١٥] وجده لامه ابو العباس يحيى بن محمد بن ثوابة[١١٦] وغيرهم ... وهو يستخدم هذه المعرفة في نقض المؤلفات المشكوك فيها بالاضافة الى عيوب التأليف الاخرى وهذا هو يحقق في رسالة متبادلة بين اسحق الموصلي وابراهيم بن المهدي ويؤكد كونها وثيقة سليمة غير مزورة قال :

«فاما المماظة التي كانت بينه وبين اسحق فقد مضي في خبر اسحق منها طرف ونذكر ها هنا منها ما جرى محاسن ابراهيم والقيام بحجته ان كانت له وعذره فيما لا عيب عليه لانه بذلك حقيق » .

فمن ذلك نسخت من «كتاب اعطانيه ابو الفضل العباس بن احمد ابن ثوابه رحمه الله بخط اسحق في قرطاس ــ وانا اعرف خطه ــ و(جواب) ــ لابراهيم بن المهدي في ظهره بخط ضعيف واظنه خطه لانه لو كان كاتب لكان اجود من ذلك الخط وذهب اول (الكتاب) فذهب منه اول (الابتداء) و (الجواب) و (نسخت) بقيته فكان ما وجدته من ابتداء اسحق :

« وكنت ــ جعلت فداك ــ كتبت في كتابك الى محمد بن واضح تذكر انك مولاي وسيدي فمتى دفعت ذلك ! وهل لي فخر غيره ! او لاحد علي وعلى ابي رحمه الله من قبلي نعمة سواكم ! وأحب ذلك ان يكون ...»

وبعد صفحتين من الجزء المطبوع يستأنف المؤلف ذكر (جواب) ابراهيم ابن المهدي ويقول :

---

(١١١) الاغاني حـ ١٤ ص ٢٢٥ ، ٢٥٧ ، ٥٨٠ ــ ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢
(١١٢) الاغاني حـ ١٣ ص ٢٠٣
(١١٣) الاغاني حـ ١١ ص ٢٤٢
(١١٤) الاغاني حـ١٤ ص ٢٠٢
(١١٥) الاغاني حـ ١٢ ص ٢٦١
(١١٦) الاغاني حـ ١٤ ص ٢١١

« (نسخة) جواب ابراهيم بعدما ذهب منه ... واية سلامة اقدر لك عليها الا اسوقها اليك اعطاني الله ما احب من ذلك لك ... »

وينتهي من هذه الوثيقة بعد صفحتين ونصف من المطبوع استغرقه جواب ابراهيم بن المهدي ثم يعلق هو على هذه الرسالة :

« وانما ذكرت هذا الابتداء وجوابه على طولهما ـ وهما قليل من (كثير) من مكاتباتهما لتعرف بهما طرفا من مقدارهما في المنازعة والمجادلة وان اسحق كان يريد من ابراهيم التواضع له والخنوع برياسته ويتحامل عليه في بعض الاوقات وينحو ابراهيم نحو ما فعله به لان نفسه تأبى مايريده اسحق منه فيستعمل معه من المباينة مثل ما استعمله ... وقد روى يوسف ابن ابراهيم اخبارا فيما جرى بينهما فوجدت (كلامهما) مرصوفا رصف ابراهيم بن المهدي ومنظوما نظم منطقه فيها تحامل على اسحق شديد وحكايات ينسب من نقلها الى جهل بصناعته كان اسحق بعيدا من مثله فعلمت ان ابراهيم عمل ذلك والفه وامر يوسف بنشره في الناس ليدور في ايديهم ذكر له يفضل به وذلك بعيد وقوعه ولن تدفع الحقائق بالاكاذيب ولا يزيل الخطأ الصواب ولا الخطل السداد وكفى من نصح عن اسحق بان اغاني ابراهيم بن المهدي لا يكاد يعرف منها صوت ولا يروى منها الا اليسير وان كلامه في تجنيس الطرائق اطرح وعمل على مذهب اسحق وانقضى الصنع لابراهيم بذلك مع انقضاء مدته كما يضمحل الباطل مع اهله .

فعدلت عن ذكر تلك الاخبار لانها لم تقع الي ولكنها اخبار يتبين فيها التحامل والحنق وتتضمن من السب والشتم والتجهيل ما يعلم انه لم يكن يقضى على مثله لاحد ولو خاف القتل فاستبردت ذلك واطرحته واعتمدت من اخبار ابراهيم على الصحيح وما جرى مجرى هذا (الكتاب) من خبر مستحسن وحكاية طريفة دون ما يجرى مجرى التحامل ... »(١١٧)

ولعل هذا غاية ما يصل المرء في تحقيق الرسائل وادراك الرسائل المزورة والرد عليها في قوله فيما سبق :

« وقد روى يوسف بن ابراهيم اخبارا فيما جرى بينهما فوجدت (كلامهما) مرصوفا رصف ابراهيم بن المهدي ... الخ ... » .

فقد زور ابراهيم بن المهدي عدة رسائل وهمية جعلها اجوبة لرسائله عن لسان اسحق يطعن فيها اسحق بنفسه وبفنه ولكن المؤلف يقول انها(تشبه)

(١١٧) الاغاني حـ ١٠ ص ١٤٩ ـ١٥٦

اسلوب ابراهيم بن المهدي ويفترض افتراضا معتدلا وهو ان ابراهيم هو الذي اعطاها ليوسف بن ابراهيم وامره بنشرها في الناس ... واعتمد في رد المزورات اما على الاسلوب والعبارة الفنية كما رأينا او على الخط او ما شابه ومن اهتمامه البالغ في البقايا الحضارية التي حاول ان يتتبعها او يتتبع اخبارها في سبيل رسم صورة كاملة محاولته لتسجيل تاريخ (كأس ام حكيم) المشهور من عدة مصادر .

وام حكيم هي بنت يحيى بن الحكم بن ابي العاصي بن اميه بن عبد شمس وكانت جميلة جدا واسمها زينب وقد تزوجها ابان بن مروان بن الحكم ثم يحيى بن عبد الملك ثم عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ثم هشام ابن عبدالملك .

وقال عنهما :

«وكانت ام حكيم منهومة بالشراب مدمنة عليه لا تكاد تفارقه و (كأسها) الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس الى اليوم وهو في خزائن الخلفاء حتى الان ...»[١١٨] .

ثم قال عنه :

« عن اسماعيل بن مجمع قال : كنا نخرج مافي خزائن المأمون من الذهب والفضة ونزكي عنه فكان فيما يزكي عنه قائم كأس ام حكيم وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالا قال محمد بن موسى : سألت اسماعيل بن مجمع عن صفته فقال : (كأس كبير من زجاج اخضر مقبضه من ذهب) ».

(و) حدثنا احمد بن الهيثم الماروني :

لما اخرج المعتمد ما في الخزائن ليباع في ايام ظهور الناجم بالبصرة اخرج الينا كأس مدور على هيئة القحف يسع ثلاثة ارطال يقوم باربعة دراهم فعجبنا من حصول مثله في الخزانة مع خساسته فسألت الخازن عنه فقال :

هذه كأس ام حكيم فرددناه الى الخزانة ولعل الذهب الذي كان عليه اخذ منه حينئذ ثم اخرج ليباع »[١١٩]

٣ ـ الرواة والاسانيد :

وفي شيء يشبه الاعجاز روى ابو الفرج اخباره وصنفها وحققها وبوبها

---

(١١٨) الاغاني حـ ١٦ ص ٢٠٩ وكأس في المعاجم والقرآن وردت مؤنثة وهو يذكرها مرة ويؤنثها اخرى .

(١١٩) الاغاني حـ ١٦ ص ٢١٢ و ٢١٣

في طريقة تضعه في الصف الاول وعلى رأس كل من استخدم طريق الرواية في التأليف ...

ففي براعة الفنان الماهر يمزج الروايات العديدة في الخبر الواحد ويبقى لكل رواية قيمتها واستقلالها مما لا يستطيع القيام به من لم يزود بصبر يفوق صبر العلماء المدققين المتبحرين في هذا الباب بالذات وكيف يتم له ذلك وهو قد انصرف الى عدة فنون وكتب في اشياء مختلفة لا تآلف بينها ؟

وسوف نقول في ذلك الشيء الكثير حين نصل الى موضوع السند ونحن هنا في مقام تعداد المصادر التي استقى منها معلوماته ونحيل القارىء الى كتب التراجم القديمة والى بروكلمن والى ما صدر من كتب كتبت عن حيوات رواة ابي الفرج لمعرفة سيرة هؤلاء الناس ونحن هنا نريد ان نقرر بايجاز واختصار اسماء بعض هؤلاء الرواة واذا انصرفنا الى التفصيل في نشاط وحياة هؤلاء الرواة فلن نقول الا قولا معادا مكرورا .

وان الطبقة التى استقى منها ابو الفرج استقت معلوماتها من المصادر الاولى في الادب والتاريخ والفن والمصادر الاولى طبقة صغيرة اهم شخوصها:

« ابو عبيدة ومحمد بن سلام والربيع بن ابي الهيثم وابن الكلبى وحماد الراوية وخلف الاحمر ويونس الكاتب والمدائني والواقدي وابن اسحق صاحب السيرة واسحق الموصلي وابراهيم الموصلي » .

وهذه الطبقة تتكون ممن نقل اخبار الجاهلية وصدر الاسلام ومن الطبقة التى روت اخبار العصر العباسى .

تحقيق ابو الفرج في اسانيد الروايات :

لقد حاول كتاب الادب الاهتمام بالاخبار الادبية ودقتها وصدقها وصحتها كاهتمام رجال الحديث بحديث الرسول الكريم (ص) حيث قامت مدرسة المحدثين بتمحيص الاحاديث من طريق تمحيص السند والرواة وابتعدوا لذلك اصطلاحات وتعابير خاصة للتعبير عن تواتر السند او ضعفه وابتدعوا التعابير التي تصف الراوية ودرجته في القوة والضعف في الحفظ وذلك موجود في كتب الحديث ولن نعيد فيه القول .

وحاول رجال الادب ذلك بجهد كبير وبذلوا مجهودا ضخما وان كان منهجهم لم يصبه النجاح الكامل والتوفيق التام الا انهم بذلوا قصارى جهدهم في ذلك مشكورين وان ضخامة الرواية الادبية والتاريخية على مختلف القرون التى سجلت عنها وفيها اخبار الادب والتاريخ يجعل هذا العمل مستحيلا

ومحالا لضخامة الرواية وعدد الرواة الهائل ومن يتمكن يا تـرى ان يسجل تاريخ حضارة ضخمة كالحضارة الاسلامية ويبوبها ويصنفها ويصنف رواتها ويعطى قيمتهم وصدقهم وكذبهم ؟

وقد حاول ابو الفرج في كتابه الضخم ان يضع هذا وهو فيما سجل لنا من اخبار مروية لم يفلت من يديه الزمـام ففي صبر عجيب ودقة متناهية وفي شموخ العالم وقف يسجل السـند ويوافق بـين الروايات ويصنف ويمزج ويحلل وقد قام بعمل قد يحتاج له الان الكبـار من الباحثين والعديد مـن المساعدين ...

وقـد تدهشنا احيانا دقـة الغربيين وهم يقومون على طبع مخطوطاتنا وفهرستها وتبويبها وقد يرى الباحثون في كتب تاريـخ الادب التـى كتبها المستشرقون شبه معجزة حضارية والمتأمل في كتاب الاغاني لا شك سـوف يقلد ابا الفرج كل اعجاب وان اطواد البحث العلمي يقفـون اقزاما صغارا جدا تحت قدمي هذا الطود الشامخ .

لقد اهتم ابو الفرج بالسند واعتبره الاساس في ذكر أية رواية اديبـة وقد يضطره التسجيل في لحظة من اللحظات لخبر من الاخبار خلو من السند ان يشير الى ذلك فاذا خلا من السند نبهنا الى ذلك ووعدنا بتخريجه قال :

«واخبرنى محمـد بن العباس اليزيدي باسناد لـه لم يحضرنى وانا اخرجه ان شاء الله تعالى »(١٢٠) .

وحاول جهده ان يضبط اسماء الرواة ضبطا دقيقا فان فاته شيء مـن ذلك انذر ــ القارىء :

«اخبرني احمـد بن عبيدالله بن عمار قال حدثنا ابو علي ــ وسـقط اسمه من كتابي ــ قال قرأت في كتاب عمي »(١٢١) .

وحاول ابو الفرج جاهدا ان يكون مستوى رجال السند الذين يروى عنهم على نفس المستوى في الامانة العلمية التى يتصف بها رجال الحديـث ويعتذر احيانا اذا اضطرته رغبته في تكامل الخبر ان يعتمد الاسانيد التـى لا يقرها اصحاب الحديث قال :

« وقد سمعت خبره من جهات عدة الا انه لم يحضرنى وقت كتبـت هذا الخبر غيره . وان لم يكن من اقواها على مذهب (اهل الحديث) اسنادا

---

(١٢٠) الاغاني حـ ٧ ص ٢٦٦

(١٢١) الاغاني حـ ١٤ ص ٨٧

فهو من اتمها »[١٢٢] .

وكان العصر الذي عاش فيه ابو الفرج يعير الاهتمام للسماع ويستضعف النسخ والمطالعة والنقل عن المصادر ولذلك فقد كانت منقولاته في كتابه أقل من موسوعه وكان ينبه القارىء ويميز له بين النسخ والسماع من معاصريه قال :

«وانما قيل لعويف عويف القوافي لبيت قاله ، نسخت خبره في ذلك من كتاب محمد بن الحسن بن دريد ولم اسمعه منه »[١٢٣] .

ولكثرة سلاسل الرواية بالنسبة للادب اصبح من المستحيل رواية كل سلسلة يجدها على حدة واصبح المزج والتداخل ضرورة من ضرورات الاختصار واستعمل ابو الفرج هذه الطريقة ونبه عليها حينما تقع في خبر من الاخبار :

قال: اخبرني حبيب بن نصر ، قال حدثنا احمد بن ابي خثيمة قال : حدثني مصعب .

واخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه مصعب وعن محمد بن الضحاك ابن عثمان عن ابيه قال : ـ (دخل حديث بعضهم في بعض) ـ ... »[١٢٤] .

قال : «واخبرني بهذا الخبر عمي فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونقص»[١٢٥] .

وقال مرة اخرى :

« اخبرنا (بشله) في هذا الموضع الحسين بن يحيى »[١٢٦] .

واذا توفرت اكثر من رواية في الخبر الواحد فهو لا شك محكم عقله في افضلها او مختار لقارئه ليكون على بينة مما يقرأ .

قال :

«اخبرني بخبره احمد بن عبدالعزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبه (ولم يتجاوزه) ... »

واخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن اسحق عن ابيه قال :

حدثني الزبير قال : حدثني بهذا الخبر ايضا (وفيه زيادة وخبره احسن

---

(١٢٢) الاغاني حـ ١٥ ص ١٩٢
(١٢٣) الاغاني حـ ١ ص ١٣١
(١٢٤) الاغاني حـ ١ ص ٣٦١
(١٢٥) الاغاني حـ ١ ص ٦٤
(١٢٦) الاغاني حـ ١ ص ٤٠

واكثر تلخيصا وادخل في معنى الكتاب) »[١٢٧] .

وهو دون شك يختار احدى الروايات اعتمادا اما على كون الراوية مشاهدا او معاصرا للحدث او على كمال السلسلة حيث فضل الرواية الثانية لان السلسلة الاولى ناقصة قال : (ولم يتجاوزه) وهو يتبنى الفاظ السلسلة المختارة من الرواة وينبه القارىء على الراوية الذي نقل الخبر بالفاظه :

«واخبرني محمد بن مزيد بن ابي الازهر ومحمد بن خلف بن المزربان والفاظهما تزيد وتنقص واخبرني ببعضه محمد بن خلف وكيع عن اخره وقصة وصوله الى المأمون ولم يذكر ما قبل ذلك قال : وحدثنا حماد بن اسحق عن ابيه (ولم يقل وكيع عن ابيه) واللفظ في الخبر لابن ابي الازهر وحديثه اتم . قال ... »[١٢٨] .

وحاول ان يستفيد من اختلاف السند لاكمال الروايات وملء الفراغ لاعطاء صورة كاملة لما يروى من مختلف الطرق واستفاد من ذلك لاكمال النصوص الشعرية .

قال :

«وقال انشدني علي بن سليمان الاخفش هذه الابيات وزاد فيها على رواية عمر بن شبه بيتين (فاضفتهما) لهم ... » .

واهتم بتواتر السند فقد أخذ في السند التالي من خمسة رواة ثلاثة رواة منهم اخذوا من مصدر واحد واخذ الراويتان الاخران من مصدر آخر .

وانتهى بالسندين الى آخر مصدر اعتمدوه وهو «محمد بن سلام» .

قال :

« اخبرني :

١ ــ احمد بن عبد العزيز الجوهري

٢ ــ واسماعيل بن يونس الشعبي

٣ ــ وحبيب بن نصر المهلبي . قالوا :

حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني محمد بن سلام واخبرني :

١ ــ محمد بن يزيد بن ابي الازهر

٢ ــ والحسين بن يحيى . قالا :

حدثنا حماد بن اسحق عن ابيه عن محمد بن سلام عن ابيه عن شيخ من تنوخ (ولم يقل عمر بن شبه في خبره : محمد بن سلام عن ابيه) ورواه

---

(١٢٧) الاغاني حـ ٩ ص ١٦٩

(١٢٨) الاغاني حـ ٦ ص ٢٤١

عن محمـــد عن شيخ من تنوخ قال ... »[١٢٩] .

وقد اهتم كثيرا بالمصدر الاخير الذي تأخذ عنه سلاسل الرواة المختلفة وحاول ان يتعرف عن المصدر الذي يأخذ منه اخر راوية في الرواية .

قال :

«اخبرني الحرمي بن ابي العلاء ... عن (الاصمعي) .

واخبرني عمي قال حدثنا فضل اليزيدي ... عن (الاصمعي) .

واخبرني عمي قال حدثنا ابو الفضل الرياش ... عن (الاصمعي) .

قال (عمه)وحدثني بـــه النوشجاني عن شيخ له مـــن البصريين عـــن (الاصمعي) عن ابن ابي الزناد .

(ولم يقل عن ابن ابي الزناد غيره) ... »[١٣٠] .

ومثل ذلك الرواية التالية :

« اخبرني الحرمي ... حدثني (محمد بن سلام) .

واخبرنا وكيـــع ... عن (محمد بن سلام عن جرير) .

ورواه حماد ... عن (ابن سلام عن جرير) أيضا »[١٣١] .

وقد اهتم بالمرجع الاخير اهتماما كبيرا حتى انه نبه على اقل زيادة او نقص في قول هذا المرجع لاهمية ذلك في الخبر التاريخي :

« اخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قـــال حدثنا مطرف بن عبدالله المدني قال : (حدثني ابي عن جدي)قال ... حدثنا به وكيع قال : حدثنا ابن ابي سعد قال حدثنا ابراهيم بن المنذر قال حدثنا ابو خويلد مطرف بن عبدالله المدني عن ابيه (ولم يقل عن جده) .

وذكر الخبر مثل الذي قبله »[١٣٢] .

وقد اهتم ابو الفرج بكافة الروايات وقدم منها الاهم على المهم والاشهر من الروايات على الشهيرة منها وما جاء من الاخبار مفردا او لوحده فيه على رواية بشكل منفرد ايضا كما انه اهتم في الخلافات بين رواية ورواية وسجل اكل خلافه .

قال : «اخبرني بما ذكره من جملة اخباره (اخبار اعشى همدان)الحسين ابن علي الخفاف قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن محمـــد بن معاوية

---

(١٢٩) الاغاني حـ ٢ ص ١٩٢

(١٣٠) الاغاني حـ ٣ ص ٤٤

(١٣١) الاغاني حـ ٢ ص ٣٢٤

(١٣٢) الاغاني حـ ٤ ص ٣٠٢

الاسدي ــ انه اخذ اخباره هذه عن كناسة عن الهيثم بن عدى عن حماد الراوية وعن غيرهم من رواة الكوفيين .

قال : حدثنا عمر بن شبه وابو هفان جميعا عن اسحق الموصلي عن الهيثم بن عدى عن عبدالله بن عياش الهمداني .

قال : العنزي : واخذت بعضها من رواية مسعود بن بشر عن الاصمعي . وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرته مفردا ... »(١٣٣) .

وقال في اخبار امرىء القيس :

(١) اخبرني بخبره على ما قد سقته ونظمته :
احمد بن عبدالعزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبه (ولم يتجاوزه) .
وروى بعضه عن علي بن الصباح عن (هشام بن الكلبي) .

(٢) واخبرنا الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبدالله بن ابي سعد عن علي بن الصباح عن (هشام بن الكلبي) .
قال ابن ابي سعد : ــ واخبرني دارم بن عقال بن حبيب الغساني احد ولد السموأل بن عادياء عن اشياخه .

(٣) واخبرنا ابراهيم بن ايوب عن ابن قتيبة .

(٤) واخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثني عمي يوسف عن عمه اسماعيل .

(٥) واضفت الى ذلك رواية ابن الكلبي من لم اسمعه من احد .
ورواية الهيثم بن عدى ويعقوب بن السكيت والاثرم وغيرهم . لما في ذلك من اختلاف (ونسبت من رواية كل راو اذا خالف غيره اليه) قالوا ...»(١٣٤)
ومهما تعددت او تكاثرت الخلافات بين الرواة فهو لابد ذاكرها حتى ولو وصلت الى مجرد الخلاف في اسم او ما شابه . قال في خبر الاعشى : ــ «الابيات ... يقولها في زوجة له من همدان يقال لها (جزلة) هكذا رواه الكوفيون وهو الصحيح وذكر الاصمعي انها (خولة) هكذا رواه في شعر الاعشي »(١٣٥) .

ومن النماذج الدالة على دقة صبره وكثرة مقارناته بين الروايات واختلافاتها ما حققه من اخبار الحطيئة وهو دليل قاطع على مقدار الجهد والوقت الذي بذله ابو الفرج في تأليف كتابه ونحن نورد نموذجا لمثل هذا

---

(١٣٣) الاغاني حـ ٦ ص ٣٤
(١٣٤) الاغاني حـ ٩ ص ٧٧
(١٣٥) الاغاني حـ ٦ ص ٣٤

التحقيق في النص التالي كدليل على معاناته في نخل الروايات ومزجها معا في شكل لا يبدو عليه تناقض مع المحافظة على رواية كل راوية واضحة حيث تبدو شخصيته وحقوقه في الرواية واستقلاله الخاص في خبر من الاخبار .
قال :

«فاما خبره مع الزبرقان بن بدر والسبب في هجائه اياه : ـ

١ ـ فاخبرني به ابو خليفة عن محمد بن سلام (ولم يتجاوزه به) .

٢ ـ واخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه عن محمد ابن سلام (عن يونس) .

٣ ـ واخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن ابي حاتم (عن ابي عبيدة) .

٤ ـ واخبرني اليزيدي عن عمه عبيدالله عن ابي حبيب (عن ابن الاعرابي) .

ـ وقد جمعت رواياتهم وضممت بعضها الى بعض :ـ

«... وذكر مثل ذلك الاصمعي ... قال يونس ... وقيل : ...

وقال اخرون ... على رواية ابن سلام ... وعلى رواية ابي عبيدة ... وفي خبر الزيدي عن عمه قال ابن حبيب عن ابن الاعرابي ... قال ابو عبيدة في خبره ... وقال ابن سلام في خبره ... قال ابو عبيدة ... قال ابن سلام ... هذه رواية ابن سلام واما ابو عبيدة فانه ذكر ... »(١٣٦) .

وعند سقوط السند او نقصانه فكان يحاول ان يفترض المصدر الاول افتراضا حدسيا وينقل هذا الافتراض اذا صدر عن بعض الرواة في السند ايضا .

قال : « قال يحيى بن علي ـ اراه عن البلاذري ـ »(١٣٧) .

قال : « قال الزبير وحدثني مصعب ... عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبدالله (قال موسي :) لا اراه الا حدثه عن عبدالله بن عمر ! ...»(١٣٨) .

وحاول ان يحتفظ للراوية بما يروى ولم يحاول ان يحمله جريرة ما يرويه عنه اذا لم يروه تاما بعد مرور زمن طويل ولم يكن كتبه :

« قال ابو الفرج الاصفهاني : هذا حفظته عن ابي جعفر (بن رستم) الطبري النحوي وانا حديث السن فكتبته من حفظي واللفظ يزيد وينقص

---

(١٣٦) الاغاني حـ ٢ ص ١٥٠ ـ ١٥٥
(١٣٧) الاغاني حـ ٤ ص ٣٩٧
(١٣٨) الاغاني حـ ٣ ص ١٢٠

وهذا معناه ! »[١٣٩] .

وحاول ان يشير الى اي شك يعتريه سواء اكان ذلك في النص كما رأينا او في السند دون ان يتحرج من ذكر ذلك ولا يراه انه قادح في علمه ما دامت غايته الحقيقية والامانة في النقل والنزاهة في التسجيل قال :

«واخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن اسماعيل اجعفري عن محمد بن سليمان بن فليح او فليح بن سليمان ـ انا شككت ـ عن ابيه عن جده قال ... »[١٤٠] .

وقال في تأكيد هذه الحقيقة مرة اخرى وقد شك هذه المرة في مصدر الرواية وسندها :

«حدثني جحظة قال حدثني علي بن يحيى ... فاني كتبته عن حفظي »[١٤١] .

وكما اهتم بتسجيل ذلك عن نفسه فقد سجله على رواته ايضا ونبه على ملاحظاتهم على الاسماء وخطأهم او غفلتهم او نسيانهم او ما شابه :

«حدثني ابراهيم بن محمد بن بركشة قال : سمعت شيخا يحدث ابي وانا غلام فحفظت عنه ما حدثه به ولم اعرف اسمه قال : حدثني اسحق ابن ابراهيم الموصلي ... »[١٤٢] .

واحتفظ بحق اللفظ للرواية وبهذا اكد على حق من حقوق النشر الذي لم يؤخذ به الا مؤخرا في اوربا وبهذا اعطى لشخصية الراوية المجال للبروز والظهور من خلال اسلوبها الخاص بها او بتسجيل حق الراوية الذي جاء بالقصيدة كاملة لاول مرة او بالرواية تامة وبذلك لم يذهب المجهود الذي يبذله الراوية للوصول الى ما وصل اليه هباء .

قال :

«قال أبو زبيد والفظ في القصيدة لليزيدي لانها في روايته اتم»[١٤٣] .

وقال :

«جمعت رواياتهم واكثر اللفظ للزبير بن بكار وخبره اتم »[١٤٤] .

قال :

---

(١٣٩) الاغاني حـ ١٢ ص ٣٠٢

(١٤٠) الاغاني حـ ٩ ص ٣٤

(١٤١) الاغاني حـ ١٢ ص ٧٧

(١٤٢) الاغاني حـ ١٠ ص ١٧٨

(١٤٣) الاغاني حـ ٥ ص ١٢١

(١٤٤) الاغاني حـ ١٢ ص ١٠٤

«اخبرني محمد بن خلف قال حدثني ابو ايوب المدنى ... وقد اخبرني بهذا الخبر علي بن عبدالعزيز عن ابن خرداذبه فذكر قريبا من هذا ولفظ ابي ايوب وخبره اتم »[١٤٥] .

ولم يتهاون ابو الفرج مع الرواة ولم يسلّم بكل ما جاءوا به فقد اتهمهم بالكذب والتزوير والتحامل والجهل وكان واعيا لقيمة كل راوية عن انفراد فكثيرا ما كان يكذب ابن الكلبي ويتهمه بالخطأ .

«قال ابو الفرج الاصفهاني : اخطأ ابن الكلبي في هذا» [١٤٦] .

قال :

«هكذا ذكر ابن خرداذبة وليس الامر في ذلك كما ذكره »[١٤٧] .

وقال عن تحامل ابن مهرويه على ابي تمام :

«لا يضر ابا تمام هذا منه وما اقل ما يقدح مثل هذا في ابي تمام»[١٤٨] .

ولم يفته ان يسجل على كبار الرواة ما يعتريهم من غفلة او نسيان ولم يسامح احدا منهم على كبر منازلهم :

«قال : ثم قالت : ان انت غنيتني صوتا في نفسى فلك كذا وكذا (شيء سمعته له ذهب عن ابن سلام) ... »[١٤٩] .

وقال مثل ذلك عن اسحق الموصلي :

« فقال : يا غلام هات مائتي دينار (او اربعمائة دينار) ـ الشك من اسحق الموصلي ـ ... »[١٥٠] .

وان هذا الشك وان كان قد صدر عن الرواة انفسهم حين رووا الخبر فلم يحاول هو ان يتغافل عنه او يتناساه وكأن السند هو شغله الشاغل الذي يؤلف فيه في الوقت الذي كان يستخدم السند كوسيلة لغاية اخرى ...

ومن خلال السند حاول ان يوصل الينا المعلومات الدقيقة عن مهن الرواة او اعمالهم او اسمائهم او احوالهم او موتهم وما شابه ذلك من معلومات مفيدة للقارىء .

قال : « .. قال اخبرني خالد صامة المغني ـ وكان من احسن الناس

---

(١٤٥) الاغاني حـ ٦ ص ١٤٤ ـ ١٤٥
(١٤٦) الاغاني حـ ١٢ ص ١٩١
(١٤٧) الاغاني حـ ١٨ ص ٢٥٩
(١٤٨) الاغاني حـ ١٣ ص ٢٥٥
(١٤٩) الاغاني حـ ٢ ص ٢٣٦
(١٥٠) الاغاني حـ ٦ ص ٢٩

غناء على عود ــ قال ... »[١٥١] .

قال : «وحدثني سليمان (الطبّال) : انه رأى متيم في بعض مجالس المعتصم يمازحها ويجبذ بردائها ... »[١٥٢] .

وقال : «حدثني ابراهيم بن عبدالله الطليحي راوية الشعراء بالكوفة »[١٥٣] .

وهو كما رأينا لم يكن يهتم ان يكون راويه من مستوى اجتماعي معين وانما يهمه صدق الرواية ودقة الخبر لا غير .

وكان يذكر الرواة باسمائهم او بالقابهم او باسمائهم وكناهم كما في قوله :

«اخبرني احمد بن عبدالعزيز (الجوهري) قال حدثني علي بن محمد (البقال) قال: حدثنا شيبان بن محمدالحراني ــ وكان يلقب بعوضه وصار من سادات الازد ــ قال ... »[١٥٤] .

واذا لم تكن النسبة كافية فكان يلحقها بالاسم :

«اخبرني محمد بن مزيد بن ابي الازهر قال حدثنا حماد بن اسحق عن ابيه عن (الجمحي) :ــ

قال ابن ابي الازهر : وهو محمد بن سلام »[١٥٥] .

واهتم باحوال رواته :

« ... قال حدثني انيف بن هشام بن الكلبي ــ ومات قبل ابيه ــ قال حدثني ابي ... »[١٥٦] .

وعرفنا بالرواة الذين قد نجهلهم او لم نسمع بهم بكثرة بنسبة تقربهم الينا :

قال : « اخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد »[١٥٧] .

وقال : « اخبرني عبدالعزيز بن احمد عم ابي »[١٥٨] .

وقال : « اخبرني عبدالله بن الربيع ابو بكر الربيعي صديقنا

---

(١٥١) الاغاني حـ ٧ ص ٦١
(١٥٢) الاغاني حـ ٧ ص ٢٨٢
(١٥٣) الاغاني حـ ٧ ص ٣٤٢
(١٥٤) الاغاني حـ ٧ ص ٢٥٩
(١٥٥) الاغاني حـ ٧ ص ١٠٨
(١٥٦) الاغاني حـ ٧ ص ٦٠
(١٥٧) الاغاني حـ ٤ ص ٥٣
(١٥٨) الاغاني حـ ٤ ص ١٣٦

رحمه الله »[١٥٩] .

واخبرنا بالكيفية التى استقى فيها معلوماته عن الرواة فقد نبهنا الى الرواية المباشرة او النسخ او الرواية بطريقة الاجازة وقد اكد على الاخيرة مرات عديدة كما قال :

« اخبرني احمد بن عمر بن موسى بن زكويه القطان اجازة »[١٦٠]

وقد استقى عددا من اخباره بهذه الطريقة [١٦٢] .

وهو في كل ذلك حاول الى ان يصل الى ما يشبه الكمال في معلوماته الدقيقة عن الرواية وحاول ان يصل بقارئه الى درجة من الاطمئنان المطلق انه خير امين على ما ينقل له من ادب ومعرفة .

وقد ابدى ابو الفرج من الدقة والحرص على الأمانة في النقل ومحاولة النقد النزيه السليم البناء ما يجعل كتاب الاغاني أثمن وثيقة ادبية كتبت في لسان العرب واصدقها وابعدها عن المبالغة وهذا كله دليل على عظمة المؤلف وطراز تفكيره الرائع وانه نسيج وحده دون شك في محاولاته الفريدة في تسجيل اخبار الادب والتاريخ والفن ...

---

(١٥٩) الاغاني حـ ٦ ص ١٦٣

(١٦٠) الاغاني حـ ٢ ص ٣٠

(١٦١) الاغاني ٤ ص ١٧ وحـ ١٨ ص ٤٤

بعضه[1] ، لتساؤل ليست وراءه تطلعات أصلية ، وانما هو تساؤل أملته المحاكاة لطريقة اولئك المستشرقين ، ومن الطبيعي أن نجد مثل هذا التساؤل في بحوثهم عارضاً سرعان ما يختفي ويبقى معه القلق الذي تثيره هذه القضية الادبية ، وعندئذ يجري الكاتب في طريقه الطبيعية من العرض الوصفي للشعر الجاهلي : اسلوبه وصوره ، وفنونه وموضوعاته ..... الخ .

والعرض الوصفي ، في ذاته ، مهمة خطيرة ، ولكنه لا يحتل الاهمية الاولى في شعر الحقبة الجاهلية ، لأنه لا يعالج الاسباب التي جعلت النموذج الادبي الذي تجسدت فيه العبقرية البدوية يظهر في هذا الشكل الذي ندعوه بـ « القصيدة » بما هي عليه من خصائص وسمات ، ولا يعالج كذلك ـ بقدر ما تتيحه المعلومات التاريخية المتوفرة لدينا الآن ـ مراحل التطور الذي أفضى بهذا النموذج الادبي الى ان يكتمل في شكل القصيدة على هذا النحو المتقن الذي نواجهه فيما لدينا من الشعر الذي ينسب الى اوائل شعراء هذه الحقبة . والعرض الوصفي لا يستطيع الا ان يكون ضحلاً لأنه يُعنى اكثر ما يُعنى بظواهر الامور ولا يتوغل في «العالم الداخلي » للقصيدة الذي قد تستقر في أعماقه ، كما تستقر في اعماق قائلها وفي عقله غير الواعي ، بقايا مخاوف وأشواق وعبادات تضرب أصولها في التاريخ الموغل في القدم ، وقد يفسر اكتشافها ، على ضوء تقدم العلوم الحديثة : النفسية والانثرويولوجية ومكتشفات الآثار التاريخية ، كثيراً من الصور والوقائع التي تتألف منها قصيدة الشاعر البدوي القديم .

ومن المعلوم أن جزءً ضئيلاً من الشعر الذي ينسب الى الحقبة الجاهلية[2] قد وصل الينا ، أما معظمه فقد ضاع[3] ، وما بقى من هذا الشعر انما هو ، على حد قول المستشرق الفرنسي بلاشير « من انتخاب الرواة والجماعين والعلماء[4] »،

---

(٢) لا تمتد هذه الحقبة الى اكثر من مئة وخمسين عاما قبل الاسلام انظر تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) لشوقي ضيف . (دار المعارف بمصر ١٩٦٠) ، ص ٣٨ .

(٣) يقول ابن الكلبي : «ولم تحفظ العرب من أشعارها الا ما كان قبيل الاسلام» كتاب الاصنام لابن الكلبي (القاهرة ١٩٦٥) ص ١٢ ، ويقول أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا اقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » الخصائص لابن جني مطبعة الهلال ١٩١٣ وانظر طبقات ابن سلام (دار المعارف بمصر) ص٨ .

(٤) انظر بلاشير ص ١٨٨ .

واذ يتسم أقدم المحفوظ من هذا الشعر بتنويع في الوزن ، وصقل بارع في التعبير اللغوي ، فلا بد اذن من ان نفترض وجود مذهب[٥] للشعر له قواعده وله تقاليده، وليس هذا المذهب وليد فترة قصيرة من الزمن بل هو نتيجة تطور أدبي خلال قرون طويلة سابقة .

فما هي الطريقة المثلى ، في هذه الحال ، للاقتراب من هذا الشعر وفحصه ؟

انّ مواجهة الشعر الجاهلي مواجهة مباشرة لا تقرها فكرة الشك فيه ، لأنك لا تملك شيئاً صلباً تقف عليه ، فلا بد أن تجد لك موطىء قدم تستطيع منه ان تبدأ رحلتك نحو هذه المنطقة التي يطالعك منها ما بقي مما ينسب الى شعراء تلك الحقبة، ويبدو لي أن خير ما نفعله في هذا الصدد هو أن نبدأ رحلتنا من قرون سابقة للفترة الجاهلية ، أو من فترة لاحقة لها . ويسهل الامر نوعا ما في الثانية ، بينما تكتنف طريقنا في الاولى ظلمات لا نعلم مدى الاخطار فيها ، وان كانت لهذا السبب ، على الاقل ، تغري بالمغامرة وحب الاستطلاع .

وحين نختار الثانية ، اي البدء من فترة لاحقة ، تواجهنا مشكلة تحديد موقعها في الزمان والمكان ، فالعصر الاسلامي يبدأ ـ كما هو المتعارف عليه ـ بظهور الاسلام او بهجرة الرسول الكريم الى المدينة ، وينتهي بانتهاء خلافة الراشدين ، فهل نقف عند هذا الحد السياسي فنحدد به هذه الفترة اللاحقة؟ ام نلتمس تاريخاً آخر اكثر قبولاً من الوجهة الادبية ؟ من المفيد ، هنا ، ان نذكر قول احد النقاد القدامى : « بدىء الشعر بامرىء القيس وختم بذي الرمة »[٦] ، فانه يشير في أغلب الاحتمالات ، الى ضرب من الشعر له سمات محددة في ذهنه ، لا نبعد كثيراً عن الصواب ان قلنا انه يومىء الى ما يمكن ان يصطلح عليه بالمذهب البدوي او المدرسة البدوية[٧] .

واذ نعرف ان وفاة ذي الرمة كانت حوالي ١١٧هـ[٨] ، نفهم ما يشير اليه

---

(٥) دراسات في الادب العربي لغوستاف فون غرنباوم (ترجمة احسان عباس وآخرين) بيروت ، ١٩٥٩ ص ١٣٤ .

(٦) الاغاني (بولاق) حـ٢ ص ١٨٣ ووفيات الاعيان حـ١ ص٥٦٦

(٧) انظر

R. Nicholson: A Lt. Hist. of the Arabs. Cambridge, 1956, 246.

(٨) وفيات الاعيان لابن خلكان (القاهرة ١٢٩٩ هـ) ، حـ١ ص ٥٦٦ .

بعض مؤرخي الادب من تحديد هذا المذهب بنهايـــة القرن الاول للهجرة[٩] • ويفيدنا قول الناقد القديم في تحديد المكان كما أفادنا في تحديد الزمان ، فكـــلا الشاعرين – امرىء القيس وذي الرمة – عاش في اليمامة التي كانت،على ما يبدو ، بيئة معظم الشعراء الجاهليين ، والتي بقيت ، بعد ظهور الاسلام ، ممثلة للمذهب البدوي قرناً ونيفاً من الزمان • والحق أننـــا لا نســـتطيع البدء من العراق او الشام[١٠] ، ولا من الحجاز • فلم يكن العراق والشام بعيدين عن الامم الأخرى، أما الحجاز فيكفي ان نذكر كثرة الجواري والعبيد في مكة والمدينة ايام عمر بن أبي ربيعة[١١] ، وأفواج الحجيج التي تفد اليهما كل عام لنتبين ان الحجاز لم يعد بعيداً عن المؤثرات الخارجية ثقافية كانت أم اقتصادية واجتماعية •••

لا جرم أنّ اليمامة بمجتمعها البدوي ، وتقاليدها الشعرية الموروثة ، وعزلتها داخل اطار من الصحراء يفصلها ، نسبيا ، عن المجتمعات الحضرية ، وبعدها عـن التيارات الفكرية ، يجعل لها أهمية خاصة في كل محاولة علمية لدراسة الشعر الجاهلي وفهمه • وهكذا نبدأ بدراسة ذي الرمة ومعاصريه من شعراء اليمامـة ممن لا يرقى الشك الى شعرهم ، وننتقل–بطريقة المقارنة المتصلة–الى أسلاف ذي الرمة المباشرين ، ثم المخضرمين ، وهنا نجد أنفسنا في يمامـة العصر الجاهلي • ويبدو لي ان المقارنة يجب ان تتم في الصور المتماثلـــة كوصف الديار والابل ، والحيوان ، وملاحظة معجم كل شاعر من جهة ، ومعجم شعراء كل جيل من جهة أخرى ، وأعني بالمعجم هنا مجموع المفردات التي يكثر استعمالها في لغتهم ، فان لكل شاعر ولكل جيل ، معجما تشيع فيـــه مفردات معينـــة تختلف ، في كثرة استعمالها ، عن معجم شعراء الاجيال الأخرى ، فيعيننا ذلك في دراستنا القائمة على على المقارنة لمعرفة خصائص شعر كل جيل وماطرأ عليه من تطور •

لا ريب في ان مثل هذه الدراسة صعبـــة مضنية ، ولكنها ، وكذلك كـل دراسة فاحصة ، تثيب أصحابها على قدر المشقة •

نرجع الى معالجة الامر من القرون السابقة للعصر الجاهلي المعروف •

---

(٩) انظر Pictorial Aspects of Ancient Arabian Poetry. التي نشرها لايل Lyall في مجلة (J.R.A.S. Vol. 1, 1912, 143).

(١٠) انظر بلاشير ص ١٢ •

(١١) انظر عمر بن ابي ربيعة لجبرائيل جبور ، بيروت ، ١٩٣٥ جـ ١ ص١٥–١٢٧

انّ استحالة تتبع تطور الشعر الجاهلي منذ طفولته الاولى ان ان ظهر متقناً على ايدي شعراء الجاهلية المعروفين ، تنبع من جهلنا بتاريخ الامة العربية في تلك القرون ، وما بين ايدينا مما كتبه المؤرخون العرب يؤلف أضعف ما كتبوه في تاريخ العرب ، ذلك لانه بعيد عن التحقيق والتدقيق و « اكثر ما ذكروه على أنه تاريخ هذه الحقبة هو أساطير وقصص شعبي وأخبار اخذت عن أهل الكتاب ولا سيما اليهود ، وأشياء وضعت في الاسلام لمآرب اقتضتها العواطف والمؤثرات الخاصة[١٢] »

ولكننا نعرف الآن – بفضل ما عثر عليه من النقوش وما ذكره مؤرخو اليونان والرومان القدامى – ان الامة العربية عريقة موغلة في القدم • فقد وجدت نقوش آشورية ذكر فيها العرب يعود تاريخها الى زمن الملك الآشوري شلمنا نصر الثالث (حوالي ٨٥٠ ق•م) وتردد ذكرهم بعد ذلك في النقوش الآشورية والبابلية[١٣]، وذكرت نقوش آشورية أخرى أنهم – الآشوريين – حاربوا قبائل (عربيي) فأسروا أصنامهم ففاوضتهم هذه القبائل العربية وتكللت المفاوضات بالنجاح وردت اليها أصنامها[١٤] •

ويتردد ذكر التوراة للعرب من ٧٥٠ الى القرن الثاني قبل المسيح[١٥] • كما ورد ذكرهم ايضاً في نقش بهستون المدون أيام دارا الاول[١٦] • وتتحدث الكتب اليونانية عن وجود علاقات قديمة بين سواحل بلاد العرب وبلاد اليونان والرومان[١٧] • وأقدم من ذكر العرب من اليونانيين أخيلس Aeschylus (٥٢٥ – ٤٥٦ ق•م) وزينوفون[١٩] ، وقد ذكر المؤرخ اليوناني المعروف هيرودتس (٤٨٠ – ٤٢٥ ق•م•) العرب ، وزار مصر ، وتتبع أخبار الشرق

---

(١٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد علي ص ١٠ •
(١٣) محاضرات في تاريخ العرب ، صالح احمد العلي (بغداد ١٩٥٩) ص ١٣ •
(١٤) تاريخ العرب قبل الاسلام ، ٥/٦٩ •
(١٥) المرجع السابق ٥/٢٢ وانظر محاضرات في تاريخ العرب ص ١٣ •
(١٦) محاضرات في تاريخ العرب ص ١٣ •
(١٧) تاريخ العرب قبل الاسلام ١/٢٥ •
(١٨) المرجع نفسه ١/٢٦ •
(١٩) محاضرات في تاريخ العرب ص ١٣ •

بالمشاهدة والسماع ، ودون ما سمعه،ووصف ما شاهده[٢٠] ، وأخبرنا هيردوتس بمساعدة ملك العرب لقمبيز عند اختراقـــه للصحراء في طريقه الى مصر[٢١] ، وترك لنا هذا المؤرخ وصفاً مهماً للكتيبة العربية التي زحفت مع الجيش الفارسي بقيادة سرخس على بلاد اليونان ، كما وصف لباســـهم وســـهامهم[٢٢] • وذكر ديودورس الصقلي العرب في كتابـه « المكتبـــة التاريخية[٢٣] » وحارب العرب الاسكندر في حوالي عام ٣٣١ ق•م فاستولى على مدينتهم غزة بعد مقاومة باسلة ، وبعد انقتل آخر المدافعين عنها ، فبيع أهلها من النساء والاطفال في سوق الرقيق[٢٤]

من هذه الاشارات الموجزة يقوم الدليل على وجود كيان عريق للعرب في الاعصر القديمة بما لهذا الكيان من نفوذ وعلاقات وتجارة • فلابد ، اذن ، مـــن وجود نتاج شعري ضخم يتناسب وتاريخ هذه الامة العريقة وعصورها الطويلـة قبل الفترة الجاهلية المعروفة • لكننا ـ لسوء الحظ ـ لا نملك من هـــذا النتاج الشعري شيئاً • ويبدو ان أسباب ضياعه طبيعيـة ، فبـــلاد العرب ـ تفرض في غالب بقاعها حياة غير مستقرة تسود فيها بداوة متنقلة لا تعتمد على الكتابة في حفظ تراثها الادبي ، وانما على الحفظ والرواية ، وكلاهما يتصل بالطبيعة الانسانية التي تتأثر بالنسيان والموت ، ومر الزمن • ومن الشـــعر ، حتى في ايامنا هذه ، ما يتسم بالطابع المحلي في تعبيره عن أغراض معينة في ظروف خاصة ، فاذا تبدلت الأحوال لم يعد مثل هذا الشعر يجد استجابـــة في نفوس الناس الذين تختلف ظروفهم وحاجتهم عن تلك التي يمثل ذلك الشعر حياتها وظروفها ، فتلتفت عنـه فيستقر في مطاوي النسيان • ويبدو أن أقوى الاسباب التي أدت الى ضياع الشعر القديم هو انه نظم في لهجات مختلفة قبل ان تتطور هذه اللهجات وتظهر من بينها لغة ادبية عامة هي اللغة التي سادت مجتمع اليمامة والحجاز قبيل الاسلام • ان هذه اللغة الادبية قد تألفت ، كما يعتقد بروكلمان ، تدريجيـاً بفضل الصـــلات

---

(٢٠) انظر Herodotus; The Histories (Penguin, 1960) Book Two, 102—173. وتاريخ العرب قبل الاسلام ص ٢٦ •

(٢١) انظر The Histories, 176—177

(٢٢) المصدر السابق ص ٤٤٠ •

(٢٣) تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٢٧ •

(٢٤) الاسكندر المقدوني لهارولد لامب (ترجمة عبدالجبار المطلبي ومحمد ناصر الصانع) بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ١٩٠ •

التجارية التي أوجدها الظعن والحج الى المراكز الدينية كمكة ، واستمدت غناها في المفردات من عدد كبير من اللهجات[٢٥] ، ولكنها ترد الى مجموعة اللهجات في وسط الجزيرة وشرقيها ، فهذه اللهجة الشعرية ... هي لغة وسطي ... لها خصائص اللهجات في وسط الجزيرة وشرقيها[٢٦] ، وبسيادة هذه اللغة ، أخذ شعر اللهجات المحلية ، على مر الزمن ، يعسر على الفهم ، وتبدو مفرداته غريبة على سامعيها وتراكيبه وربما موضوعاته غير مألوفة..على ان هذا لا يعني ان هناك هوة بعيدة تفصل نتاج اللغة الادبية العامة عما خلفته اللهجات السابقة من تراث شعري ، فلابد ان شيئاً مما يتصل بالدين والطقوس والعادات الاجتماعية قد انتقل الى التعبير الادبي في لغته العامة كما انتقل اليها تيار التقاليد الادبية الموروثة عبر الاجيال الضاربة في القدم ، ولابد ان استمرار الاجيال العربية خلال القرون قد ترك خيطاً عاماً ينتظم انتاجها الفني ، ولذلك فلابد ان يتضمن الشعر الجاهلي ـ اذا كان جاهلياً حقاً ـ أصداءً ولو بعيدة من هذه التقاليد الادبية ومن العادات الاجتماعية ، وكذلك العبادات . وهذه الاخيرة ذات أهمية خاصة ، لأن العبادات تتصل بضمير الشعب ويحتويها اللا وعي ، فتعبر عن نفسها في أشكال مختلفة ، وان حلت محلها عبادة اخرى تناقضها وتحرص على محو آثارها ، وخير مثل نقدمه على ذلك أعياد الربيع في اوربا وعيد « نوروز » أو السنة الجديدة في الشرق . فأصل هذه الاعياد يتصل باساطير قديمة جداً ، فاسطورة تموز السومرية تمثل موت الحياة في الشتاء وبعثها في الربيع ، فيغري اله الطبقات السفلى (اله الموت) الاله تموز فاذا تبعه قضى عليه ، وعندئذ تذوى الازهار وتجف مظاهر الحياة ويحل الشتاء فاذا غامرت عشتار وراء حبيبها استطاعت ان تقضي على اله الموت وتبعث الحياة في جسد تموز ، فتزدهر ، لذلك الحياة ، وتخضر الارض ويحتفل الناس بعودة الاله تموز وبعث الحياة في الربيع هذه الاسطورة العراقية التي ترمز الى دورة الحياة والموت ظهرت على شواطيء البحر المتوسط فتمثلت تارة في صورة ادونيس ، عند الفنيقيين ، وتارة في صورة

(٢٥) بلاشير ص ٨٧ .

(٢٦) المرجع السابق ص ٨٧ـ٨٨ .

(٢٧) انظر Harrison, Jane E.; Ancient Art and Ritual; Great Britain; 1951, 9—48.

وانظر كذلك الفصح في امسه البعيد لانيس فريحة (مجلة الابحاث المجلد الخامس العدد الاول ص ٦٦ـ٨٦) .

اوزيريس ، عند المصريين وديونيسوس في بلاد اليونان[٢٧] .

ومن هذا المنطلق نحاول اعادة النظر في الشعر الجاهلي ، فهل نستطيع ان نجد فيه أصداء لاشياء قديمة قدم تاريخ الامة العربية ، بل قدم أصلها السامي الذي نشأت منه ؟ فاذا كان العرب من الامم السامية ، فلابد اذن ان يحمل تراثهم اللغوي اشارات مهما كانت بعيدة فانها ذات قيمة خاصة ، اشارات تمت الى الاصل بسبب .

ولنبدأ محاولتنا بتفسير مظهر من مظاهر القصيدة الجاهلية مما يتصل بوصف ثور الوحش . ففي الشعر الجاهلي مجموعة كبيرة من الصور التي تعنى بالثور وتفصّل في قصته . ونظرة سريعة الى شعراء الجاهلية[٢٨] تكشف عن احتفالهم بهذا الموضوع متخذين من تشبيه الناقة به مدخلاً لوصفه وسرد قصته وها نحن نجتزىء منه بنماذج ثلاثة :

قال النابغة في معرض تشبيه ناقته بالثور :

كأنَّ رحلي وقد زال النهارُ بنا ،
يومَ الجليل ، على مستأنسٍ وَحدِ[٢٩]
من وَحْشِ وَجْرةَ ، موشيٍّ أكارُعُه ،
طاوي المصير ، كسيف الصَّيْقَل الفَرِدِ[٣٠]
سمرتْ عليه من الجوزاءِ ساريةٌ ،

---

(٢٨) ديوان اوس بن حجر (صادر) بيروت ، ١٩٦٠ ص ٢ـ٤ وديوان عبيد بن الابرص ، (صادر) ، ١٩٥٨ ص ٥٩ وديوان امرىء القيس ، القاهرة ، ١٩٥٨ ص ١٠١ـ١٠٤ ، وديوان النابغة (صادر) بيروت ص ٣١ـ٣٣ ، ٥١ـ٥٤ ، وانظر جمهرة أشعار العرب ، القاهرة ، ١٣٠٨ هـ ، ٥٣ـ٥٥ ، وشرح ديوان زهير بن أبي سلمى (الدار القومية للطباعة والنشر) القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٤٢ـ٤٨ ، وديوان لبيد بن ربيعة (الطوس)، ص ٦٦ـ٦٩ ، ١١٢ـ١١٦ . وديوان بشر بن ابي خازم الاسدي (دمشق) ١٩٦٠ ص ٥١ـ٥٢ ، ٥٥ـ٥٧ ، ٨٢ـ٨٤ ، ١٠١ـ١٠٤ ، ٢٠٤ـ٢٠٥ . وديوان الاعشى (صادر) ١٩٦٠ ، ص ١٤ـ١٥ ، ٦٤ ، ١٢٨ ، ١٧٤ ، ١٨٧ـ١٨٨ .

(٢٩) زال النهار : انتصف ، الجليل : واد قرب مكة . المستأنس : الذي يتطلع لأنه أحس انسياً . وحد : منفرد .

(٣٠) وجرة : مكان بين مكة والبصرة فيه وحوش كثيرة . موشي الأكارع : هو الابيض في قوائمه نقط سود . الطاوي : الضامر . المصير ، واحد المصران، وكنى به عن البطن . كسيف الصيقل : اي يلمح ، والصيقل : الذي يجلو السيوف . الفرد : الذي لامثيل له .

تزجي الشمالُ عليه جامدَ البردِ (٣١)
فارتاعَ من صوتِ كلّابٍ ، فبات له
طوعَ الشوامتِ من خوفٍ ومن صردِ (٣٢)
فبثّهنّ عليه ، واستمرّ به
صمعُ الكعوبِ بريئاتٌ من الحَرَدِ (٣٣)
وكان ضمرانُ منه حيث يوزعُه ،
طعنَ المعارِكِ عند المُحجَرِ النجدِ (٣٤)
شكّ الفريصةَ بالمدرى ، فأنفذها ،
طعنَ المبيطرِ ، اذ يشفي من العَضدِ (٣٥)
كأنه ، خارجاً من جنبِ صفحتِه ،
سَفّودُ شَرْبٍ نسوّهُ عند مُفتأدِ (٣٦)
فظلّ يعجُمُ أعلى الرَوْقِ ، منقبضاً ،
في حالكِ اللونِ صدْقٍ ، غيرِ ذي أودِ (٣٧)
لمّا رأى واشقٌ اقعاصَ صاحبِه ،
ولا سبيلَ الى عقلٍ ، ولا قَودِ (٣٨)

---

(٣١) سرت : جاءت ليلا • الجوزاء : برج في السماء •
(٣٢) ارتاع : فزع • الكلاّب : صاحب الكلاب • الشوامت : القوائم • الصرد : شدة البرد •
(٣٣) بثهن : فرّقهن • استمر به : استمرت قوائمه به • الصمع : الضوامر ، الواحد أصمع • الكعوب : الواحد كعب : المفصل من العظام • الحرد : استرخاء عصب يد البعير من شدّ العقال ، استعاره للثور لانه لايشد بعقال •
(٣٤) ضمران : اسم كلب للصياد • يوزعه : يغريه • المعارك : المقاتل • المحجر : الملجأ • النجد : الشجاع •
(٣٥) شكّ : أنفذ • الفريصة : بضعة في مرجع الكتف • المدرى : القرن • المبيطر : البيطار • العضد : داء يأخذ في العضد •
(٣٦) الصفحة : الجانب • السفود : حديدة يشوى عليها اللحم • الشرب : جماعة يشربون • نسوه : تركوه المفتأد : موضع النار الذي يشوى فيه •
(٣٧) يعجم : يمضغ • الروق : القرن • منقبضا : قد تقبض من شدة الوجع • الحالك : الشديد السواد • الصدق : الصلب المستوي من الرماح • الأود : الاعوجاج •
(٣٨) واشق اسم كلب • الاقعاص : القتل السريع • العقل : الدية • القود : القصاص •

قـالتْ لـه النفسُ انـي لا أرى طَمَعـاً ،
وان مـولاك لـم يسـلمْ ولـم يَصِـدِ (٣٩)

وقال زهير بن أبي سلمى :

كـأن كُـوري وأنسـاعي ومِيَـثرتـي
كسـوتهن مُشيبـاً ناشـطاً لَهقـا (٤٠)

رعـى بـغيـثٍ لأوراكٍ فنـاصـفـة
مـن الشـتـاء فلمّـا شـأوه نَفقـا (٤١)

وقـد يكـون بهـا حينـاً تَعـزّ بـه
وقـد تطرّف مـن حافـاتهـا أنقـا (٤٢)

عشْـراً وخمسـاً ، فقـد طـابت مراتعُـه
من الربيع ولم يَبْدنْ وقـد زَهقـا (٤٣)

فَسـارَ منهـا عـلى شَـيم يـؤمُّ بهـا
جَنبيْ عَمـايـةَ فالركـاءَ فالعُمقـا (٤٤)

---

(٣٩) يقول : حدثت الكلب نفسه ان لاطمع في الاكل من لحـم الثور • وان صاحبه لم يسلم ، اذ قتلت كلابه ولم يصد الثور الذي قتلها • انظر ديوان النابغة الذبياني ص ٣١-٣٣ •

(٤٠) الكور : الرحل • الانساع : ما يشدّ به الرحل ، والميثرة : ما وثر به الرحل • المشب : الثور المسن وهو الشبيب • ناشط : الثور قد نشط من بلـد الى بلد : خرج اليه • اللهق : البياض •

(٤١) الغيث : الكلأ والمطر • اوراك وناصفة من بلاد تميم • وقوله : فلما شأوه نفقا : ان الثور رعى هذه المواضع الشتاء ، فلما انقضى عنه وخرج الربيع خرج يطلب مواضع الماء • شأوه : تطلبه • نفق : نفد •

(٤٢) تغربّه : انفراده . وتطرف اكل من اطراف كلأ هـذه المواضـع ، أنق معجب •

(٤٣) العشر من الأظماء : أن يرد يوماً ثم يمكث ثمانيـة أيام ثم يرد في اليوم العاشر وهو أطول الاظماء • والخمس على هذا التقدير • يبدن : يضخم • زهق : سمن •

(٤٤) سار هذا الثور من هذه المواضع على شيم : على منظر قد شامه وقصده . وعماية : جبل من بلاد بني عامر • والركاء : موضع بالقرب من عماية ، والعمق : دون مكة •

فأدركتْهُ سماءٌ بينها خللٌ
تروي الثرى وتُسيلُ الصَفْصَفَ القَرِقا(٤٥)

فباتَ معتصماً من قرّها لثقاً
رشَّ السحابُ عليه الماءَ فاطّرَقا(٤٦)

يَمرْي بأظلافِه حتى اذا بلغتْ
يَبْسَ الكثيبِ تداعى التربُ فانخرقا(٤٧)

مُوَلّيَ الريحِ رَوْقيه وجَبْهتُهُ
حتى دنا مِرْزَمُ الجوزاءِ اوخفقا(٤٨)

ليلتَهُ كلَّها حتى اذا حسرتْ
عنه النجومُ أضاءَ الصبحُ فانطلقا(٤٩)

فصبّحتْهُ كلابٌ شدُّها خطفٌ
وقانصٌ لا ترى في فعله خرقا(٥٠)

زُرْقُ العيونِ طواها حُسنُ صنعتِهِ
مجوّعاتٌ كما تطوي بها الخرقا(٥١)

حتى اذا ظنَّ قرنَ الشمس غالبةً
وخاف من جانبيهِ النَهْزَ والرَهَقا(٥٢)

---

(٤٥) سماء : مطر . الثرى : التراب الندي . الصفصف : المستوي من الارض . القرق : الاملس الذي لاشيء فيه .

(٤٦) معتصم : مستمسك بشيء مستتر به لائذ به . القر : البرد . اطرق : ركب بعض شعره بعضا .

(٤٢) نغر به : انفراده . وتطوف أكل من أطراف كلأ هذه المواضع ، أنق : حفر في الندي فاستقام له الحفر ، فلما انتهى الى الرمل الجاف أنهال عليه .

(٤٨) اي هذا الثور يستذري من الريح بقرنيه وجبهته ، يستر بذلك سائر بدنه . والمرزم : نجم دنا من المغيب او غرب .

(٤٩) حسرت النجوم : زالت .

(٥٠) شدها : عدوها ، خطف : سريع والخرق : النزق .

(٥١) اي ضارية ضامرة مدربة . طواها : أضمرها . صنعته : قيامه (اي صاحبها) عليها ، تطوى بها الخرق : أي من الهزال .

(٥٢) النهز : الجذب ، اي خاف ان تجذبه الكلاب بافواهها . والرهق : اللحاق .

كـرَّ فـفـرّجَ أولاهـا بنـافـذة
نجـلاءَ تتْبعُ روقيـهِ دماً دفقا(٥٣)

وقال لبيـد

كـأخنسَ ناشطٍ جادتْ عليه ... بُرقْه واحفٍ احدى الليالي(٥٤)
أضلَّ صـواره وتضيّفتْـه ... نطوفٌ أمرُها بيدِ الشمـال(٥٥)
فبـات كـأنـه قاضي نـذورٍ ... يلـوذ بغرْقَدٍ خضلٍ وضالَ(٥٦)
اذا وكفَ العضـونُ عـلى قـراه ... أدار الرَوْقَ حـالاً بعـد حال(٥٧)
جُنـوحَ الهالكـي على يديـه ... مكبـا يجتـلي نُقَبَ النصـال(٥٨)
فباكره مع الأشـراقِ غضْفٌ ... ضواريهـا تخبُّ مع الرجال(٥٩)
فجال ، ولم يجلْ جبنـا ، ولكن ... تعرُّضَ ذي الحفيظـة للقتالَ(٦٠)
فغادر مُلحماً وعدلْنَ عنـه ... وقد خضَبَ الفرائصَ من طحالَ(٦١)
يشـكُّ صفاحها بالروقِ شـزرا ... كما خرجَ السِـرادُ من النِقال(٦٢)

---

(٥٣) كر هذا الثور على الكلاب فكشف سابقها اليه بطعنه بقرنه • نافذة : نفذت الى الجوف • تتبع هذه النافذة قرنيه دماً متدفقا • انظر شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ص ٤٢ـ٤٨ •

(٥٤) الاخنس الثور • واحف : مكان • البرقة : الموضع يخلط ترابه او رمله خصى •

(٥٥) أضل هذا الثور بقره . تضيفته : نزلت به سحابة تنطف بالماء . امرها بيد الشمال : اراد البرد والمطر •

(٥٦) بات : يعنى الثور • كأنه قاضي نذور يقول : بات مكباً كأنه يصلي صلاة يقضي بها نذراً • وغرقد : شجر • الضال : سدر البر •

(٥٧) وكف : قطر • القرا : الظهر • الروق : القرن •

(٥٨) جنوح الهالكي : اكبابه وميله وانحرافه على يديه • والهالكي : الصيقل • شبه انكباب الثور بجلوس الصيقل على السيف ليجلوه • النقب : الصدأ واحدها نقبة وهي اللون •

(٥٩) الاشراق : طلوع الشمس • الغضف : الكلاب التي آذانها الى وراء وقيل المسترخي الاذنين • ضواريها : صوائدها •

(٦٠) جال : فر ولم يفر جبنا • الحفيظة : ما يحافظ عليه ، وهو ها هنا الغضب•

(٦١) غادر : ترك • ملحم : كلب يطعم اللحم • الفرائص : جمع فريصة وهي بضعة في مرجع الكتف • طحال : اسم كلب •

(٦٢) يشك : يطعن • صفاحها : جنوبها واحدها : صفحة • شزراً : جانبا • السراد : السير الذي يخصف به • والمسرد : المثقب او المخرز • النقال : الرقاع ، واحدها نقيلة •

وولّى تحسّرُ الغمراتُ عنه كما مرّ المراهنُ ذو الجلال (٦٣)
وولّى عامداً لطياتِ فلجٍ يراوحُ بين صونٍ وابتذال (٦٤)
تشقّ خمائل الدهنا يداه كما لعبَ المقامرُ بالفيال (٦٥)
وأصبح يقتري الحوْمانَ فرْداً كنصل السيف حودث بالصقال (٦٦)

هنا لابد ان يتساءل المرء عن هذا التقليد الادبي الذي عالج فيه اكثر الشعراء الجاهليين قصة الثور وكيف ضل عن صواره وألجأه الليل والمطر الى شجرة ، والتحم عند الصباح ، بمعركة مع كلاب الصيد .. أفتراه انحدر الى الجاهليين من أجيال سابقة تقليداً ادبياً محضاً ام هل يحمل مغزى دينياً قديماً انقرضت طقوسه ولم يبق منها الا موضوع تتبارى فيه قرائح شعراء الجاهلية وملكاتهم الشعرية في ميدان التصوير والابداع ؟

هنا لابد ان نترك ـ الآن ـ هذه الصور ، بعد ان أشرنا اليها في اطارها الجاهلي ، لنعالجها بطريقة اقترحناها في صدر هذه المقالة ، اي بالبدء من قرون سابقة للشعر الجاهلي المعروف ، متدرجين في اقترابنا منه حسب ما تتيحه لنا معلوماتنا التاريخية المتوفرة .

وما ان نطل على مطلع التاريخ البشري على شواطىء دجلة والفرات في أيام السومريين ، فنستقرىء الادب ونستمع الى الشعراء حتى تطالعنا صورة الثور في اطار غريب من القداسة والتبجيل ، فهو اله يرمز الى القوة والخصب ، وهو اله العواصف ايضاً ، واسمه « انليل »(٦٧) ، عبده السومريون وعبدوا البقرة الهةً معه(٦٨) ، ومن اتحادهما في زواج مقدس فاضت ضفاف دجلة

---

(٦٣) تحسر : تنكشف . الغمرات : كربات القتال . المراهن : الفرس الذي راهن به القوم . ذو الجلال : أي ذو الصون .

(٦٤) الطية : وجهك الذي تريد . فلج : بلد . بين صون وابتذال : بين كفّ من شده وبين سريع منه يستخرجه . طيات جمع طية وهي النية .

(٦٥) الخمائل : الرمال فيها شجر : الواحدة خميلة . الفيال : لعبة كانوا يلعبون بها ، يجمعون ترابا ويخبأون فيه خبئاً ويقولون لصاحبه في أي الجانبين هو .

(٦٦) يقتري : يتتبع ، والحومان واحدتها حومانه وهي الاماكن الغلاظ المنقادة . حودث تقول حادث سيفه واحدثه اذا جلاه . وحودث بالصقال : أي تعهد به المرة بعد المرة . انظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (الكويت) ١٩٦٢ ص ٧٦ـ٨٠ .

(٦٧) انظر Conrad, Jack Randolph, The Horn and the Sword, New York, 1957, 29.

(٦٨) المرجع السابق ص ٢٩ـ٣٠ .

والفرات بالخصب على ارض سومر[٦٩] • وهكذا نظر سكان العراق القديم من السومريين الى الثور رمزاً لقوة خصب عظيمة تتصل بحاجتهم ومعيشتهم ، فلقد وجد الماء بقدرة هذا الاله ـ الثور انليل ، فازدهت الحياة ، لذلك بالخضرة والنماء ، وها هي ذي ترنيمة سومرية في تمجيد هذا الاله مانح الخصب والخضرة :ـ

ايها الثور الشديد القوة ! ايها الثور القوي الممجد ، بكلماتك خلقت العالم
يا رب العالمين
رب كلمة الحياة
اي انليل ! يا ابا سومر
يا راعي ذوي الرءوس السود[٧٠]
أنت من تملك صورة لنفسك
ايها الثور الشديد القوة (سبع مرات)[٧١]

وترنيمة أخرى :ـ

أيانليل ! أيها المستشار ! من يستطيع الالمام بقوتك •
فقد حُبيت بالقوة ، يا اله حقول الحصاد •
لقد خلقتَ الجبال ، يا اله حقول القمح •
ايها الحاكم ذو المرة الشديدة ، ايها الاب انليل !
أنت رئيس الالهة القوي •
انت الخالق العظيم ، حافظ الحياة[٧٢] •

وتصفه ترنيمة ثالثة بانه يسير في الارض مثل ثور الجبال القوي ، فيلمع قرنه كضوء الشمس ، وهو ممتلىء بالبهاء مثل كوكب الزهرة في السماوات[٧٣]

وفي مخاطبة نانار Nannar الاله ـ الثور لمدينة اور تقول احدى الترانيم :

ايها الاب يا نانار ! ايها الرب السماوي
••• اله القمر ، يا رب اور •••

---

(٦٩) المرجع السابق ص ٣٠ •
(٧٠) أي الناس (اهل سومر) •
(٧١) The Horn and the Sword, 30
(٧٢) المرجع السابق ص ٣٠ •
(٧٣) المرجع السابق ص ٣٠ •

يـا رب الهـــلال المنـــير
ايهـا الثور القوي ، يا عظيم القرنـين
ايها الكامل في بنيتـه ، يا ذا اللحيـة
الطويلة المسبلة ذات اللون اللازوردي(٧٤)

وقد سمي السومريون شهراً من شهور العام بـ « الثور المـدير » وسـمى البابليون كذلك احد أشهر سنتهم بالثور • وسرعان ما صارت كلمة « ثور »مرادفاً لبطل وصفة للشخص القوي فعبروا بذلك عن اعجابهم بقوة الههم(٧٥) ولعـل انليل الاله الثور ، اول معبود محلي يتجاوز نفوذ مدينة الاصلية نبور Nippur (٧٦) فدعي قروناً عديدة بملك البلدان ، ودعاه حاكم من حكام ايريش Erech برب السماء والارض،و'عرف معبود لكاش Lagash بجندى انليل•وفي اور دعى ننـــار Erech الاله ـ الثور للمدينة ، بولد انليل ••• وهكذا انتشرت عبادة انليل من مدينة نبور عندما نمت وقويت ، وتقبل السومريون عبادة الثور لما يرمز اليه من الخصب والانبات ، وذلك ما يهتم له السومري ويحرص عليه(٧٧) •

وعندما أشرف الالف الثالث قبل الميـــلاد على نهايته ، بزغت بابل بملوكها وجيوشها تسيطر على معظم أنحاء العراق القديم •••• وارتفعت بقوتها قوة آلهتها فتبـــوأ مردوخ ، كبـــير آلهتهـــا ، منزلة عاليـــة ، وتقمص مـا يرمز اليـــه انليـــل مـــن قـــوة وقـــدرة ، فصـار هـذا الالـــه البابلي فـــوق كـونـه الـه الشـــمس ، اله الارض والمـاء ، وكان انليل يمثلهمـا ، وكان هـذا الجمع بين الأمرين سهلاً ، لأن مـردوخ كـان ، كانليـل ، الهـاً ـ ثوراً ، ومن ائتلاف الارض والماء صار مردوخ ـ اله الشمس ـ قادراً على ان يمنح الحياة على هـذه الارض ، وان يجعلها تتدفق بلا توقف(٧٨) •

ومن اكثر الأساطير شعبية في بابل القديمـــة سلسلة أقاصيص تعرف الآن بملحمة جلكامش(٧٩) Gilgamish يلعب الثور فيها دوراً مهماً ، وهي ملحمة

---

(٧٤) المرجع السابق ص ٣٨ •
(٧٥) المرجع السابق ص ٤٤ •
(٧٦) المرجع السابق ص ٣٣ •
(٧٧) المرجع السابق ص ٣٣ •
(٧٨) المرجع السابق ص ٣٩ •
(٧٩) انظر مجلة سومر المجلد السادس ، ح ٢ ، ٣ (مطبعة الرابطة ١٩٥٠) •

ذاع صيتها في العالم القديم ، فترجمت الى اللغات الاجنبية في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد[٨٠] .

تسرد هذه الملحمة مغامرات ملك اسمه جلكامش يعتقد انه حكم اروك Uruk في سومر ، وقد الهب اسمه خيال اجيال من القصاص ، فنسجت حوله ـ على مر الاجيال ـ كثير من الخرافات القديمة والأساطير والملاحم ، وعندما دونت هذه الاقاصيص في حدود الفين قبل الميلاد ، وصفه كتاب هذه الاقاصيص بانه كاد يكون مقدساً ، فهو اله من جهة ، وانسان من جهة أخرى ، خلقه انو Annu الاله ـ الثور ، وهو مزيج من الثور والانسان،فهو حيوان مقدس رمزه قبعة ذات قرون[٨١] .

وملحمة جلكامش ـ كما هي لدينا اليوم ـ مؤلفة من اساطير عدة منفصل بعضها عن بعض ، تدور حول بطلين اثنين ، فاتصل بعضها ببعض بمر الزمان وتعاقب الاجيال ، وكونت كلاً متصلاً .

وجلكامش ـ البطل الاول ـ خلقه ـ كما ذكرنا ـ « أنو Annu » فدعي بـ « الثور الوحشي القدير » أما البطل الثاني فهو انكيدو Enkidu ، وقد خلقه « أنو » ايضاً ، وكان نصفه الهاً والنصف الآخر انساناً ، وقد ورث كلاهما من أبيه القوة والصرامة والشجاعة ...

ويبدو « انكيدو » ، في مطلع القصة ، ثوراً اكثر منه انساناً ، فيجري مع الوحش في التلال ، يرعى الأعشاب ، وشعر كثيف يكسو جسمه ، ولكنه بعد ان يقضي ستة أيام وسبع ليالي مع امرأة ، يرى ان يهجر العيش مع الوحش ، فيتعلم تناول الخبز وشرب النبيذ ، ويحلق نفسه ويدهن جسده بالزيت ، فيلتقي بجلكامش وتبدأ مغامراتهما[٨٢] .

واذ تبصر الالهة عشتار الهة الخصب (افروديت البابلية) جمال جلكامش تقع في حبائل حبه ، ولكنه يرفضها بجفاء وازدراء ، فيثير سخطها فتفزع الى أنو،

---

(٨٠) انظر
Religions of the Ancient Near East (Translated by E. A. Speiser) P. 47

(٨١) The Horn and the Sword, 40.

(٨٢) Religions of the Ancient Near East, P. 47 - 48

الاله الثور ، ليخلق ثورا من ثيران السماء كي ينتقم لها من جلكامش فيستجيب أنـو لتوسـلاتهـا : ـ

« ••• يهبط ثور من السماء
ويدخل اروك •••
وعند اول زفرة من زفراته يقتل
ثلثمائة من المحـار بـين ،
فيمسك انكيدو بثور السماء
مـن قـرنيـه ،
وعند زفرتـه الثـالثـة
يصرع مئتي محـارب ،
وعند زفرتـه الثـالثـة
يجري اليـه انكيـدو
فيثب على ظهـره
ويمسـك بـه مـن ذنبـه
ويخاطب جلكامش :
ايهـا الصديـق :
لقد جعلنا اسمنـا مجيداً »

ويغمد جلكامش ، كالصائد القدير ، سيفه بين اخدعه وقرنيه

« وعندما صرعا ثور السماء
شـمل قلبيهما سـلام ••• »

وتصرخ عشتار عند ذلك : الويل لجلكامش الذي أهانني وقتل ثور السماء، وعندما يسمع انكيدو بذلك يرمى باحدى فخذي ثور السماء في وجهها ، فتجمع عشتار آنسات المعبد وبغاياه وراهباته حول عظم فخذ ثور السماء ، ويرتفع عويلهن بالنشـيد •

ويدعو جلكامش الشيوخ والعمال كلهم ، فيثنى الشـيوخ على عظم حجـم القرنين ••• و يُطنبون في الثناء على صفات القرنين وما يتصل بهما •

ثم يغسلان أيديهما بماء الفرات ، ويستأنفان طوافهما ، ويجتمع سكان اروك

في شارع السوق ويتطلعون اليهما واقفين[٨٣] •

لكن لابد ان تنتقم الالهة لقتل الثور المقدس ، فترمي انكيدو بمرض عضال يقضي عليه ، فينال موته من جلكامش كثيراً ، ويجعله يصحو من غفلته •

وفي بقية الملحمة يبحث جلكامش ـ بلا جدوى ـ عن سر الشباب الخالد[٨٤]

وقد أظهر علم الانثريولوجي الحديث ان كثيراً من مثل هذه الاساطير انما هي تعبيرات رمزية للمعضلات والصراع داخل مجموعة ما،فكثيراً ما عبرت اسطورة او خرافة مقنعة بقناع شفاف عن المشكلات الرئيسة لشعب من الشعوب •••

ويرى بعض المؤلفين ان لملحمة جلكامش مغزيين : الاول يعبّر عن فلسفة لحياة استسلام ابيقورية ، والثاني يسرد في رموز عميقة قصة الاجيال القديمة التي تتصل بدورة الحياة ، فالقصة الاولى تبدأ بسرد أمر ارتفاع الانسان من الهمجية الى الحضارة ، ودور المرأة هنا ـ بعكس مرأة التوراة ـ السبب الاول في ارتفاعه الى الاعالي لاسقوطه منها • ويرى هذا المؤلف أن الخرافات غالباً ما تميل الى ان تعكس حياة الانسان العادي ••• وفي اسطورة دورة الحياة يمثل جلكامش قوى الحياة كما يمثل قوى الموت ايضاً ، فهو مصدر الربيع وسبب الشتاء • في شبابه يلعب مع رفاقه ويحتفل في قصره ، ولا يخشى شيئاً ، وهذا ريعان الشباب ، غير ان الزمن لا يقف ، وينقضي الصيف ، فيرفض جلكامش تقرب عشتار ، الهة الخصب ، منه ،وينتج عن ذلك الخريف العقيم • و يُصرع المخصب العظيم في المعركة ، ويرمز قطع فخذه الايمن الى منطقة الاخصاب ، فيقطع منبع الحياة ويغطي الشتاء الارض[٨٥] •

واذا التفتنا الى آشور وجدنا الثيران المجنحة تقف على ابواب قصورهم حارسة راعية ، ذلك لأنهم كانوا يعبدون الاله ـ الثور ويلتمسون عنده النصر والحماية[٨٦] • وقد دُعي هذا الاله باسماء مختلفة ، فسمي في بابل في ايامها

---

(٨٣) The Horn and the Sword, 41—42.

(٨٤) انظر Religions of the Ancient Near East, 48.
The Horn and the Sword, 42.

(٨٥) انظر The Horn and the Sword, 44.

(٨٦) المرجع السابق ص ١١١ـ١١٢ •

الاخيرة وفي آشور بالاله رمان Ramman. [٨٧] •

وكان الثور عند الحتيين – في آسيا الصغرى – اله المطر والبرق والعواصف الرعدية ، وهو اله عنيف صعب المراس يهيج دونما سابق انذار ، انه الثور تلال الاناضول ، وما كان يماثله عندهم حيوان آخر يرمز للعواصف الرعدية الوحش وكان هذا الثور من نوع الاوركس Aurochs العنيف يطوف في بقوة خصبها وارتفاع صوتها وقوتها الوحشية[٨٨] • وقد كانت عبادة الثور سائدة هناك منذ الالف الرابع قبل الميلاد ، وعندما لمع نجم الحتيين حوالي ٢٠٠٠ قبل الملاد ، كانت عبادة الثور – اله الطقس – احدى الملامح الرئيسة لدينهم[٨٩] • ولم يكن الحتيون يعبدون من الحيوان غير الثور – خلافاً للعراقيين والهنود والمصريين الذين عبدوا ايضاً حيوانات اخرى[٩٠] •

اما عند الساميين الشماليين فنجد الثور الهاً يسمى « بعلا » ومعناه السيد والرب ، وكان رمز الخصب والمطر[٩١] • فلقد كان سكان سورية ولبنان وفلسطين يعبدون الثور لقرون عدة ، وفي طقوس هذه العبادة كان الثور يقدم قرباناً ، فيحتفلون بتناول لحمه ، وصارت مثل هذه الاحتفالات تقام في المناسبات ذات الأهمية العظمى لتحقيق الاتحاد بين الاله والانسان ، فيتبرك بذلك اولئك الذين يشاركون في القيام بتلك الطقوس والاحتفالات • وقد أثرت هذه الطقوس تأثيراً بالغاً في نفوس الناس ، فلم ينقطع وجودها حتى بعد ان اندثرت عبادة الثور ولكنها ظهرت في أشكال أخرى ، وما العشاء الاخير في

---

(٨٧) وهناك في بابل ترنيمة تبدأ بهذا النداء : « ايها الرب رمان ! اسمك الثور العظيم المجيد ، طفل السماء ورب الخصب » فالقوة والخصب هما صفتا الثور اللتان نالتا التبجيل في الشرق الادنى كله وهما اكثر القيم أهمية في الحياة ، فالرجل القوي والمرأة الخصبة هما مثلا الثقافة السامية انظر The Horn and the Sword, 44.

(٨٨) المرجع السابق ٩٦–٩٧ •

(٨٩) المرجع السابق ص ٩٧ •

(٩٠) المرجع السابق ص ٩٧ •

(٩١) Religions of the Ancient Near East, 224—261.
وانظر التاريخ العربي القديم تأليف نلسن وآخرين وترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي (مطبعة لجنة البيان العربي) القاهرة ، ١٩٥٨ ص ٢١٣ •
لاحظ ان من معاني كلمة «الثور» بالعربية «السيد» راجع لسان العرب (ثور).

طقوس المسيحية الا اثر مباشر انحدر من هذه الطقوس السامية التي كانت واسعة الانتشار آنذاك[٩٢] .

ان اسم « بعل » معروف في اللغات السامية ومعناه « الرب او السيد » ، كما أسلفنا ، و « المالك » ايضاً .

وفي الرقم « الاوغاريتية » التي اكتشفت عام ١٩٢٩ في رأس شمرا على الساحل السوري ، والتي ترجع الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد ، تبدو شخصية « بعل » وان كان الهاً محلياً في معبده ـ تمثل الاعتقاد الكنعاني بصورة عامة ، فقد كان اله خصب الحقول والمواشي الذي قاتل أعداء كثيرين ، ومات ثم عاد ثانية الى الحياة ، انه الاله الذي يمتطي السحب ويرسل المطر والعواصف وله ارتباط بالالهة « ابنة البرق » والالهة « ابنة الارض » ، وهاتان الالهتان تعبران عن مظاهر لقوى « بعل » ، وأهم منها « عناة » الهة الحرب ، وهي قرينة « بعل » وأخته ، أمّا عدوه الاول فهو « موت » ، اله الجفاف والعالم السفلي ، فصعود الاله « موت » الى الارض يتلو موت « بعل » الذي يدفن مع انواع مختلفة من الحيوانات ، يضحي بها من أجله ، ولهذا السبب تنقطع الاعمال كلها على الارض ، وتجف الحياة . فتنهض « عناة » وتستطيع ان تقضي على « موت » فتقطعه اوصالاً ، وتحرقه ، وتدق الرماد ثم تذروه في الحقول ، فتقوم بهذا العمل الذي يقوم به الفلاح ليعيد الحياة الى الارض . واذ ينتهي الفلاح من عمله يصلي لرجوع اله المطر ، ولذلك تقوم « عناة » باعادة « بعل » ثانية الى الحياة يقتلها الاله « موتاً » وذر رماده في الحقول[٩٣] .

ويبدو أن الاله « بعلاً » لا يمثل في بعض الكتابات « الأوغاريتية » الهاً موسمياً يموت في فصل الجفاف ويعود في الربيع ، فهو وان كان اله الخصب فانه يمثل دورة حياة خصبة تدوم سبع سنوات تتلوها ـ بموته ـ سبع سنوات عجاف .

فتصور ملحمة « اوغاريتية » الاله بعلاً يذهب الى العالم السفلى حيث يلتقي « بموت » وبعد ان يقترن ببقرة يلاقي حتفه ، فتجف الحياة على الارض ويذوي كل شيء ، وتحزن لموته « عناة » . وتبحث عن مكان جسده فاذا

---

(٩٢) The Horn and the Sword, 110—111.

(٩٣) انظر Encyclopaedia Britanica (Baal)

عثرت عليه التمست مساعدة اله الشمس ، فتذهب الى العالم السفلي ، وتلتقي بالاله « موت » فيعترف بقتله بعلاً فتقتله لذلك ، وتفرق أجزاءه في الارض ويعود بعل الى الحياة ، فتستجيب الطبيعة لدواعي الخصب وتخضر الارض ••• وبعد سبع من السنين ، يشكو « موت » مصائبه لبعل ويلومه ، فتثور بينهما معركة حامية ولكن الشمس تفصل بينهما ويلوذ « موت » بالفرار • وتسرد بعض الرقم الطينية زيارة « عناة » لـ « بعل » الذي يقترن ببقرة ويسكن في جباله •••وتعود « عناة » اليه مرة أخرى لتزف اليه نبأ ولادة عجل ذكره له(٩٤) •

أمّا في كنعان فالاله « ايل » "EL" هو «ابو الالهة» وهو «ابو الانسان» ايضاً ووالد «الأعوام» و « خالق المخلوقات » ، وهو يشبه ثوراً في قطيع من البقر والعجول ، و يُعتقد ان له زوجاً اسمها « عشيرة » ولدت له أسرة كبيرة تتألف من سبعين الهاً والهة ، ابرز هذه الاسرة هو « حداد » الذي يدعونه « بعلاً » (الرب) • و «بعل» هو الشخصية التي تمثل تلك القوى في الطبيعة ، التي تجلب المطر والخضرة ، وهو رب السماء والارض ومملكته « خالدة لكل الاجيال » ، أمّا في شمال سورية فتسمى زوجه « عناة» ـ كما مر بنا ، وان اتخذ في فلسطين أخيراً الهة أخرى زوجاً له اسمها عشتوريت ، وتمثل هاتان الالهتان : الحب والخصب(٩٥) ، وهكذا نجد بعلاً ـ الاله الثور ـ رمزاً للخصب وعودة الحياة ، وتكاثر الاحياء •

تقول « قصيدة بعل » الكنعانية :ـ

يتصل بعجلة في المرعى
ببقرة شابة ••• في الحقل
يضطجع معها سبعاً وسبعين مرة
فهي تحمل وتلد نسلاً ذكوراً(٩٦)

أما الفنيقيون فقد عبدوا كثيراً من الآلهة البابلية ، وكما هي الحال فيما يتصل بآلهة بابل فان الآلهة الفنيقية ترتبط بالارض أو الماء أو الهواء ، وصار

---

(٩٤) Ugaritic Literature (Translated by Cyrus H. Gordon), Roma, 1949, 10—11.

(٩٥) The Westminster Historical Atlas to the Bible, ' 36.

(٩٦) The Horn and the Sword, 104.

بعضها – على مر الزمن – يسيطر على أكثر من عنصر من هـذه العناصر ، •• كبعل وعشتارت Ashtart اللذين كانا يمثلان السـماء والارض ••• وكان « بعل » أكثر آلهتهم تبجيلا[٩٧] ، وكانت عبادته شائعة منتشرة بينهـم • وكان اله المطر أيضاً « وتعبير الارض التي تسقي بعلاً » الذي يجري على ألسنة سكان – المنطقة اليوم – أثر واضح من تلك العبادة •

لقد كان الفينيقيون رجال بحر مغامرين ، أقاموا مستعمراتهم في جميع انحاء البحر المتوسط ، وبلغت سفنهم اليونان وايطاليا واسبانيا وافريقيا ، وانتشرت لذلك عبادة « بعل » في تلك الانحاء بفنها وشعرها وطقوسها • وليس من ينكر تأثير الثقافة الفينقية والدين الفينقي فيها • وأشـهر ما بقى من تأثيرهم حروف الكتابة التي كانت اصل هذه الحروف اللاتينية الحاضرة ، ولعل أطرف ما في الامر ان اول الحروف وهو الحرف A انما كان في اصله رأس ثور وانحدر لفظه مـن اسم الثور[٩٨] ايضاً • ولعله تطور على الصورة الآتية :

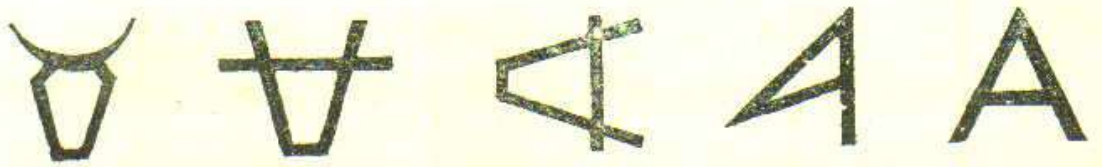

وبلغ بهم تقديسهم للثور حداً دفعهم الى منع ذبح البقر خارج الطقوس[٩٩]

وقد كان بعل يعبد في صور فيحتفل أهلها بما يسمى « يقظته » بعد الشـتاء فتجلب اليه الهدايا من جميع أنحاء البلاد ، وقد كان معبده فخماً عرف بأساطينـه الرمزية وقد كانت واحدة منها من ذهب وأخرى من زمرد ، ولعل هذه الاعمـدة كانت اساساً لما نقله الخيال الى الغرب باسم أعمدة هرقل[١٠٠] •

أما عند العبريين فقد أشار الاسـتاذ اغناطيوس جولـد زيهر (الاستاذ في بودابست) في كتابه « الخرافة عنـد العبريين » الى التأثير العظيم الذي تركـه البابليون في الدين اليهودي ، يقول الاستاذ جولد زيهر « ان ميل اليهود الى التأثر أظهر نفسه بوضوح خلال الاسر البابلي ، فقد أتيحت لهم فرصة تكوين مفهوم

---

(٩٧) Myths and Legends of Babylonia and Assyria, London, Spence, Lewis, 1928, 327.

(٩٨) اسمه السامي القديم الف ، انظر The Horn and the Sword, 105

(٩٩) انظر The Horn and the Sword, 104—105.

(١٠٠) Encyclopeadia Britinica (Baal).

كامل منسجم عن العالم • ولم يكن تأثير الحضارة الكنعانية فيهم عند ذاك قوياً ذلك لأن الحضارة الكنعانية التي لم تبلغ شأوها الا على يد الفنيقيين ، قد بدت قميئة ازاء النشاط الفكري الذي ظهر فيما أبدعت الامبراطورية البابلية الآشورية، مما نستطيع الآن ان نعجب بكل ما فيه من عظمة وابداع • فقد وجد العبريون هناك شيئاً مما يمكن تلقيه من مدينتهم وسياستهم ودينهم ••• وقد مكننا ما نشر اخيراً شريدر في الشعر الآشوري من ان نجد تماثلاً عجيباً في الافكار والشكل الشعري بين هذا الشعر وجزء لا يستهان به من التوراة ، خاصة بين الترانيم وبين الشعر الآشوري المكتشف حديثاً »(١٠١) •

وظهر تأثيرهم غير المباشر فيما يتصل بعبادة الثور رمزاً للخصب ، وما يتصل بالطبيعة ، وهنا نجد التوراة تكثر من ذكر « بعل » ، وتذكره بصيغة الجمع Baalim ، وتلك اشارة الى وجود أرباب محليين يتميز بعضهم عن بعض ••• واذ يتجاوز « بعل » في الاوغاريتية حدود مدينتهلتتسع دائرة نفوذه ، تبدو التوراة مضللة فيما يتصل بأهميته ؛ أما فيما يتصل بما يقوم به هذا الاله فانها تتفق الى حد ما مع الاوغاريتية ، فهو منبع كل منح الطبيعة ، وهو اله الخصب ، فكل ما تنتجه التربة منه •••

وفي العبرية شخوص من الاناث هن « عشتاروت Ashtaroth" جمع « عشتوريت Ashtoreth" » ، وهنا تفترق المصادر الاوغاريتية عن العبرية، فان « عشترويت » في العبرية تقابل « عناة » •وقد وصفت عبادة « بعليم » و « عشتاروت » بالامعان في الحسية وبالمجون ، فعلى قمم الجبال و « تحت كل شجرة خضراء » ازدهرت عبادة ما نحي النعم الواسعة • ومن بين ما شجب انبياء اليهود من ذلك التقرب بالقرابين البشرية وحرق البخور ، والطقوس العنيفة والانتشاء الديني والأداء الاحتفالي الذي يتضمن الانحناء والتقبيل ، واعداد الكعك المقدس ـ ويشير هذا الشجب الى ان عبادة « بعل » وعشتوريت ملامح معروفة في انحاء مختلفة من العالم السامي(١٠٢) •

وتعزي اول استجابة لعبادة « بعل » الى حكم أهاب Ahab الذي كان زواجه لايزابيل سبباً في التفاته الى عبادة « بعل » فشيد له معبداً في السامرة ، ولم

(١٠١) Myths and Legends of Babylonia and Assyria, 321—2.
(١٠٢) Encyclopeadia Britinica (Baal).

يمنعه هذا من ان يكون من اتباع يهوه ايضاً ••• وقد انكر « اليجا Elijah » وهو يحارب عبادة « بعل » أنه روح انبات محلي ؛ وقد ادعى له كهانه تلك القوى التي ينسبها « اليجا » الى يهوه • وفي عهد هوسيا Hosea استحكم العداء لبعل حتى ان ذكر اسمه صار مما يشين الدين الحقيقي وينقص منه(١٠٣) •

ولابد من الاشارة الى ان « يهوه » في العصور القديمة كان يُرسم في صورة ثور(١٠٤) •

وهناك ادلة في التوراة تشير الى ان عبادة « بعل » قد اندمجت بعبادة « يهوه »(١٠٥) •

ونخلص الآن الى ان أقوام الهلال الخصيب قد عبدت الاله ـ الثور ، الـه العاصفة ، بالصلاة والقرابين والترانيم لتنال صفاته المميزة ، وهي القوة والخصب وفي عملهم هذا أقاموا الدليل ـ كالسومريين والبابليين والحتيين والهنود والمصريين ـ على ان الاله ـ الثور ، اله القوة والخصب ، قد ظهر بلا منافس الهاً اعلى للشرق الادنى القديم طوال آلاف من السنين(١٠٦) •

وعبد المصريون الثور رمزاً للخصب كذلك ، واتخذه عدة من ملوكهم رمزاً لهم وقد نشره نارمر مينس Narmer - Mens ، ونشأت عبادة الاله هاب الذي سماه الأغريق بعد ذلك بأبيس ، وقد صارت عبادة الثور تمثل ، منذ زمن مبكر جداً ، عبادة الملوك ، واذ كان الملك ثوراً ، فالملك اذن اله •• ولذا فارتباط الملك بالاله ـ الثور سمة من السمات الرئيسة للحضارة المصرية منذ الأسرة الاولى • وقد استمر هذا الارتباط خلال حكم الأسر ؛ واعتبر الملوك المصريون أنفسهم ثيراناً واعتبرتهم رعاياهم كذلك • فكان « الثور القدير » لقبهم المألوف وسمي الملك « أناس Unas » من الأسرة الخامسة « ثور السماوات » ،ولهذا تبدو المشابهة مع العراق القديم كبيرة ••• فأساطير الخصب التي تماثل حكايات العراق القديم حول اتليل ، تعزو فيضان النيل لخصوبة ابيس ، الاله ـ الثور(١٠٧)

وأثر الآراميون في مصر فشاعت عبادة « بعل » هناك منذ القرن الرابع عشر

---

(١٠٣) Ency. Brit. (Baal).

(١٠٤) التاريخ العربي القديم ص ٢٣٧ •

(١٠٥) The Horn and the Sword, 109.

(١٠٦) المرجع السابق ص ١١٢ •

قبل الميلاد الى ما بعد ذلك[١٠٨] .

ويعتقد المصريون ان روح ابيس،الثور،تتصل بعد موته بروح «اوزيريس» اله الخضرة الذي دعي بـ « ثور الغرب » و « نور العالم السفلى » (ويذكرنا اتصال روح ابيس بروح اوزيريس بقول بلوتارخوس : ان المصريين يقولون ان العجل صورة لروح اوزيريس[١٠٩]) .

وقد عرف هذا الاله الثنائي الذي نتج عن اتحاد ابيس باوزيريس بـ Serapis « سيرابيس » الذي كانت عبادته شائعة خلال العصور الاغريقية ـ الرومانية[١١٠] ، وقد أقام بطليموس سوتر مدفناً لتمجيد سيرابيس ، وأقام تمثالاً للاله ـ الثور أمامه . وكانت أفواج الحجيج تؤم ذلك المدفن المقدس من جميع أنحاء مصر وجزر البحر المتوسط واليونان . وكان يحوي هذا المكان المقدس مكتبة الاسكندرية المعروفة التي كانت تضم ٣٠٠٫٠٠٠ مجلد والتي دمرتها النيران ايام يوليوس قيصر . ولم يؤثر احتلال الرومان لمصر في عبادة سيرابيس ذلك لأن روما كانت منذ القديم تعجب بالثور وتعبده ، فاذا بدين المغلوب يصبح دين الغالب واذا بعبادة سيرابيس تزحف مع الجيوش الرومانية الى بريطانيا واسبانيا وآسيا الصغرى واوربا .

وكان المظهر الارضي من سمات عبادة الثور ـ اله الخصب عند المصريين . وقد رأينا « تنار » في سومر ، وهو اله القمر ثوراً وكان مردوخ اله الشمس والارض في بابل يمثله ثور ايضاً ، ومن ارتباط الثور بالقمر والشمس ، ربط سكان العراق القديم قوة الاخصاب عند الثور بقوة هذين الجرمين السماويين . فالقمر بمنازله المتغيرة قد ارتبط ـ منذ زمن مبكر ـ بطقوس الزراعة والخصب فرأوا بقرون الهلال ، كقرون الثور ، قوة الاخصاب . أمّا تأثير الشمس في النمو فأكثر وضوحاً ، واذا كانت الشمس مصدراً مهماً من مصادر الحياة ، فقد ارتبطت ، كالقمر ، بالثور . وحدث في مصر مثل هذا الامر ، فارتبط الثور ابيس

---

(١٠٧) المرجع السابق ٧٢ـ٧٣ .

(١٠٨) انظر
Frankfort, Henry, Kingship and the Gods, Chicago, 1948. 107.
Ency. Brit. (Baal). وانظرا ايضا

(١٠٩) انظر ابزيس واوزيريس لبلوتارخوس (ترجمة الدكتور حسن صبحي بكري) القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٤٠ و٥١ .

منذ زمن مبكر بالهة القمر ... والثور منيفيس Mnevies بالشمس ... وكلاهما يرمز الى الخصب .

غير ان الدين المصري لم يقف عند هذا الحد ، فتضمنت عبادة المصريين فكرة الولادة الجديدة او البعث ، فهناك دورة حياة فموت فحياة للقوى العظيمة في مصر ؛ الشمس والملك والنيل والقطيع . فكل قوة من هذه القوى تتخاصم مع الموت ، ولكن قوة الاخصاب عند الثور تحافظ على القطيع وتزيد عدده بالرغم من الموت والقتل . والنيل يقل ماؤه كل عام ليعود ثراً مترعاً كرة أخرى ، اما الملوك فآلهة ولادتهم الجديدة تبدو واضحة للعيان من هذه السلسلة الفرعونية المستمرة منذ قديم الزمان . أما الشمس فتموت كل يوم عند الغروب وتولد مرة أخرى عند الصباح التالي لتجلب الدفء والحياة الى الغلات(١١٠) .

وننهي طوافنا في العصور البعيدة ببلاد الاغريق . فنجد هناك عبادة الثور الاغريقي – وهي من أقدم عباداتهم واكثرها شيوعاً – تتصل بعبادة « ديونيسوس » Dionysus ،اله الخصب والحياة ، ومن القابه :

الطفل ذو القرون ، والمعبود ذو القرون ، والثور ذو القرون ، وابن البقرة(١١١) . وكانت الثيران عند أتباع هذه العبادة تمثل التجسيد الحق للاله، وكان « ديونيسوس » – ثوراً – اله النمو ، فارتبط ارتباطاً وثيقاً بالعنب والنبيذ ، وهذا الارتباط بين الاله – الثور – ونمو النبات والشجر أوضح ملامح الاديان القديمة المتمثلة بعبادة الثور ، فأصبح ديونيسوس – لذلك – كغيره من الالهة – الثيران ، اله الحياة واله الموت ، واله الخلود .

غير ان تأثير الاله في نمو النبات كانت له أهمية ثانوية في عبادة «ديونيسوس» أما الهدف الاعلى للمكرسي أنفسهم لهذه العبادة فهو تحقيق الاتحاد الروحي بالاله، الثور العظيم ، وقد حفظت لنا كتب الاغريق قصة القيام بذلك ، فلكي يحصل اتباع الاله على الاتحاد به ، يخرجون ليلاً الى الجبال ، بعيدين عن مساكنهم ، وهناك على ضوء المشاعل الشاحبة في ذلك الظلام الكثيف خارج حدود المجتمع وقيوده ومواضعاته ، يبدأ المحتفلون يمارسون طقوسهم ، فيرقصون رقصاً جنونياً يرميهم في حمىً عاطفية حادة على أصوات موسيقى لها

---

(١١٠) The Horn and the Sword, 84—85.

(١١١) المرجع السابق ص ١٣٠–١٣١ .

أنين ورعد وفيها لعلعة ورعشات فيقفزون على توقيعاتها الوحشية قفزات مجنونة. وقد يلمح المشاهد قرون الثيران تنتصب على رءوس كثير منهم ، واذ يجري الرقص تعلو منهم صرخات متوحشة تملأ جنبات الجبال وشعابها ... ثم يبدأ النشيد تتخلله الصيحات :

في زمن الربيع يا ديونيسوس
تعال الى معبدك المقدس
الى ايليا بألطافك
تعال عادياً باظلاف الثور
ايها الثور النبيل ، ايها الثور النبيل .

واذ تمر ساعات الليل ، يمسي الرقص اكثر توحشاً واكثر عربدة لكثرة ما استهلك من النبيذ ، فيشيع فيهم الجنون الجنسي ... ويبلغون أوج هوسهم ، فتنقطع كل آصرة تشدهم الى ما يحيط بهم وتنبت كل وشيجة تربطهم بالادراك والعقل ، فيصبحون مجانين متحدين بالاله ـ الثور ... واذ ينقطع آخر خيط يزم من جنونهم يُقدّم اليهم ثور شبب فاذا توسطهم هاجموه بأيديهم ومزقوه ارباً اربا ، فيزيد هذا العمل الوحشي من جنونهم ويثير وحشيتهم ، فيقبلون على لحمه ويتناولونه نيئاً من غير ان تنقطع صرخاتهم او يكفوا عن الشرب او الرقص حتى ينقضي الليل كله[١١٢] .

ومن الجدير بالذكر ان الدراما الاغريقية قد وجدت جذورها في طقوس الثور (ديونيسوس) التي مر ذكرها ، فمن هذه الرقصات والاعمال والاناشيد تطورت الدراما الى فريق المنشدين والممثلين والاداء المسرحي .

ولم تقتصر عبادة الاغريق على الاله ـ الثور ديونيسوس بهذه الطقوس والرقصات الماجنة ، بل عبدوا في بعض احتفالاتهم أباه « زيوس » رئيس الهة الاولمب ، وان لم تكن عبادة مغرقة في الحسية والعربدة ، فقد كان فيها جد وفيها وقار مما يناسب اله الاغريق الاعلى ، ويذكرنا هذا بوقار «ايل» EL الاله السامي الذي عبر ابنه « بعل » عن طبيعته الوحشية[١١٣] .

ومن بين الاحتفالات التي تتصل بعبادة الاله زيوس احتفال يدعى بـ

---

(١١٢) انظر المرجع السابق ص ١٣٢ـ١٣٣ .
(١١٣) انظر المرجع السابق ص ١٣٦ .

"Dipolieia" وهو احتفال يقتل فيه ثور ويدعى احتفال « قتل ثور » فيتناول المحتفلون لحمه بطقوس خاصة سنوية ، تؤلف واقعة درامية ، فتشحذ فأس ومدية ، ويتناول احد الرجال الفأس فيضرب الثور ضربة شديدة ويترك الفأس على الارض ، ثم يختفي عن الانظار ، فيتصدى احدهم للثور بالمدية ويقضي عليه فيقبل المحتفلون على الثور ويسلخون جلده ثم يقتسمون لحمه ويأكلونه نيئاً . اما جلده فيحشى بالقش ، وينصب الثور كما لو كان حياً . ويقدم الرجلان اللذان اشتركا بالقتل والفأس والمدية للمحاكمة ، واذ لم يكن الرجل الاول حاضراً ، يكتفي بمحاكمة الفأس ، فتتهم وتحاكم وتبرأ ، ويتهم بعدها الماء الذي كانوا جلبوه في بدء الاحتفال فيتهم بدوره شاحذي الفأس والمدية ، ولكنهم يظهرون براءتهم ويتهمون الرجل الذي سلمهم اداتي القتل فيتهم هذا بدوره الرجل الذي ذبح الثور بالمدية ، وهذا الرجل يلوم المدية وهنا يصلون الى كبش الفداء حيث لا تستطيع المدية الدفاع عن نفسها فتجرم وتعاقب برميها في البحر لقتلها الثور المقدس .

لقد اصبح الثور هنا يعبر عن شيء جديد عند الاغريق فان لهلاك الثور ارتباطاً بالهلاك البشري ، فيحس المذنب بذنبه احساساً عميقاً عندما يسلب الحياة[١١٤] .

الثور في العبادات العربية

يرى لويس سپينس Lewis Spence في كتابه « الخرافات والاساطير البابلية والآشورية Mythus and Legends of Babylonia and Assyria » أن من المحتمل ان الدين السامي قد بدأ في شبه الجزيرة العربية ، فانتشر بطريق العراق الى الشمال حتى بحيرة وان والى مصر والشمال الافريقي خلال شبه جزيرة سيناء[١١٥] . ويضيف أن العزلة الطويلة التي فرضتها الظروف على الاقوام السامية قد أثرت تأثيراً كبيراً في طريقة تفكيرهم الديني،فهم كما يقول أقوام عجيبة ، عمليون ولكنهم مع ذلك غيبيون ، وهم يحبون أمور الدنيا حباً جماً ، وان

---

(١١٤) انظر المرجع السابق ص ١٣٦ـ١٣٨ .

(١١٥) Myths and Legends of Babylonia and Assyria

كانوا يجدون ـ مع ذلك ـ عزاءهم الاكبر في تلك الاشـياء التي تتصل بـأمور الآخرة[١١٦] .

وسواء كان أصل الدين السامي جزيرة العرب ام كان موطنـه العراق ، فما يشير اليه قول سپينس هو أن هناك أصلاً واحـداً للدين السامي[١١٧] ، وارتباطاً مشتركاً في معبودات الاقوام السامية ، وتأثيراً من الموطن الاول لهـذه المعبودات في المواطن السـامية الاخرى . فقـد رأينا البابليين والآشـوريين والكنعانيين وغيرهم من الاقوام السامية يقدسون الثور ، ويرون فيه الهاً يرمـز الى الخصب ونمو الحياة وازدهارها .

ويبدو ان عبادة الثور كانت سائدة في عصور الجاهليـة الاولى الموغلة في القدم ، فقد ذكر « اريانوس Arrianus" » و « سترابون » و « اوريجنوس Origenus » اسمي الهين هما ديونيسوس Dionysus واورانيا وذكروا ان العرب كانوا يتعبدون لهما[١١٨] ، وقد مر بنا ان ديونيسوس اله يوناني يمثله الثور ويجسد صفاته في الاخصاب والنماء .

ويرى بعض المؤرخـين ان ديانات جميـع السـاميين الغربيين والعرب الجنوبيين[١١٩] تتصل بعبادة القمر ، فهو مقدم عندهم على الشمس ، لا كما هي الحال في عبادة البابليين ، فهو الاله الرئيس الذي ينفرد بالكثرة المطلقة من الاسماء والالقاب ، والذي يسيطر على الحياة السـياسية والدينية . ويبدو ان السبب في ذلك راجع الى تلك العوامل الجغرافية والمناخية ، فالشمس محرقة ، أما القمـر

---

(١١٦) المرجع السابق ص ٣٣٢ .
(١١٧) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٥ ص ١١ .
(١١٨) المرجع السابق حـ ٥ ص ١١
(١١٩) لقد أنشأ العرب الجنوبيون دولهم منذ قديم الزمان ويرجح المؤرخـون أن أولى الأسر المعينية الحاكمة في اليمن قد بدأت حوالي ١١١٠ ق.م. اما تاريخ القتبانيين فيرجع الى سنة ١٠٠٠ ق.م .
وذكرت النقوش الآشورية ان تغـلات فلاسـر (٧٤٥ـ٧٢٧ ق.م) وسنحاريب وأسرحدون (٧١٥ـ٦٨٥ ق.م) أخذوا الجزية من يثعمر وكرب ايلو من ملوك سبأ . واول مكارب سبأ هو سمح على (حوالي ٨٠٠ـ٧٨٠ ق.م) وان كنا نجهل كل شيء عنه ما عدا خبرا واحدا هو تقديمه هدية من البخور والمر للاله المقة . وقد اتخذ الحميريون منذ سنة ١١٥ ق.م تقويما ثابتا يؤرخون به وهي السنة التي قامت فيها الدولة الحميرية . انظـر محاضرات في تاريخ العرب ص ١٧ـ٢٥ وتاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٥ ص ١٧ .

فهو دليل الركب ورسول القوافل ، فكان القمر هو الاب السماوي ، اما الشمس فقد اتخذت منزلة الام العظمى[١٢٠] .

وقد اتخذ العرب الجنوبيون من الثور رمزاً لالههم القمر ... فعُدّ من الحيوانات المقدسة التي ترمز الى الالهة وقد دعي القمر في بعض النصوص ثوراً[١٢١] .

والاله « المقة » هو اله السبأيين ، ولكننا لا نعرف عنه شيئاً مهماً ، غير ان اكثر الاوثان والصور التي كان الناس يقدمونها الى معابد « المقة » وفاء لنذورهم اشتملت على صور ثيران ويلاحظ ايضاً ان الثيران كانت اكثر الحيوانات التي كان المتعبدون يقدمونها قرابين لهذا الاله ... وقد استنتج دتلف نلسن من هاتين الملاحظتين ومن تسمى أشخاص من أسر وعشائر وقبائل باسم « ثور » ان الثور رمز يراد به هذا الاله « المقة » «أي القمر»[١٢٣] ، (ولابد لنا ان نذكر هنا ان « بعلاً » يعني في اليمنية الجنوبية « الرب »)[١٢٣] .

فاذا انتقلنا الى شمال الجزيرة وجدنا تدمر في بلاد الشام، تكونت من استقرار جماعة من البدو في الواحة التي كانت حول البئر هناك ، واخذت تدمر منذ زمن بعيد تنمو وتتسع بفعل موقعها على طريق القوافل ، فقد ذكرتها نقوش تغلات فلاسر عام ١١١٥ ق.م ، كما ذكر ملالاس بأن التدمريين ساعدوا نبوخذ نصر في هجومه على القدس وامدوه بـ ٨٠٠٠ من رماة النبال[١٢٤] . وقد أثرت فيها الديانات السامية القديمة فعبدت الهة متعددة أعظمها ثلاثة هي « بعل » الذي كان يعتبر الهاً وطنياً[١٢٥] وبعل سمين ثم الاله برحيل اله القمر[١٢٦] ، ولا يزال معبد بعل قائماً باعمدة[١٢٧] تبلغ المائة والخمسين تلك الاعمدة التي بني معظمها من المرمر الابيض وبعضها من الجرانيت السماقي .

وليس بنا حاجة الى ان نذكر أن عبادة « بعل » هذا هي استمرار لعبادة

---

(١٢٠) انظر التاريخ العربي القديم ٢٠٨ وتاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٥ ص١٢٢
(١٢١) تاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٥ ص ١٢٣ وانظر التاريخ العربي القديم ص ٢٠٧-٢٠٨ .
(١٢٢) تاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٥ ص ١٣٤ .
(١٢٣) المرجع نفسه حـ ٥ ص ١٤٣ .
(١٢٤) محاضرات في تاريخ العرب ص ٤٤ .
(١٢٥) المرجع السابق ص ٤٩ .
(١٢٦) المرجع السابق ص ٤٩ .

الخصب والمطر التي كان بعل يمثلها في بلاد كنعان .

واذا التفتنا الى المنطقة الشمالية من شبه جزيرة العرب وجدنا بين أشهر الآلهة الثمودية[١٢٨] واللحيانية[١٢٩] ، الاله « وداً »[١٣٠] ، ويبدو انه كان من الالهة القديمة التي كانت عبادتها عامة في جميع العربية الغربية والجنوبية ايضاً ، فورد اسمه في النقوش الثمودية مع كثير من التخشع والتقرب[١٣١] ، وقد جاء في احدها كتابة دونها احد المؤمنين الفانين في حب ود معناها : اموت على دين ود[١٣٢]،وفي كتابة اخرى : « يا الهي احفظ لي ديني،يا ود أيده[١٣٣] » و « ود » هذا هو الاله « المقة »[١٣٤] الذي عبده العرب الجنوبيون ـ كما مر بنا ـ والذي كان الثور يرمز اليه بدليل صورة رأس الثور في كثير من الكتابات[١٣٥]، وقد وجدت صور الثيران ايضاً في الرسوم اللحيانية والثمودية[١٣٦] .

والاله « ود » من الالهة اللحيانية ايضاً ، كان له معبد كبير في ديدان في أعالي

---

(١٢٧) المرجع السابق ص ٥١ .

(١٢٨) نسبة الى قوم ثمود وقد عثر على كتاباتها في حائل وعلى مقربة من الوجه وفي الطائف وتيماء ومدائن صالح (الحجر) والعلا (ددان القديمة) وخيبر والجوف ونجد ومدين القديمة وفي شرق الاردن وشبه جزيرة سيناء . « وقد ورد اسم الثموديين في نقوش الملك سرجون الآشوري سنه ٧١٥ ق.م (٧٢١ـ٧٠٥ ق.م) وجاء ذكرهم بين الشعوب التي أخضعها هذا الملك في شمال شبه الجزيرة العربية وعرفوا في العصر الروماني بأنهم فرسان مهرة وكانت منهم كتيبة في مصر . ويرجع تاريخ النقوش الثمودية التي عثر عليها من القرن الخامس قبل الميلاد وتنتهي بالرابع بعد الميلاد (لغات النقوش العربية الشمالية وصلتها باللغة العربية للدكتور مراد كامل (مقال نشر في البحوث والمحاضرات مؤتمر ١٩٦١ـ١٩٦٢ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة) ص ١٨٠ .

(١٢٩) أقامت قبائل لحيان مملكة تالية لمملكة ددان في القرن الثالث قبل الميلاد، وقد عثر على النقوش اللحيانية في شمال الحجاز ، وفي مدائن صالح وفي الخريبة والعلا (ددان) وتلعة الحمادي وجبل أثلب وخشم جبله وتيماء وقبور الجندي ووادي المعتدل (انظر المقالة السابقة ص ١٨٠ـ١٨١) .

(١٣٠) تاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٥ ص ١٤٩ .

(١٣١) المرجع السابق حـ ٥ ص ١٤٩ .

(١٣٢) المرجع السابق حـ ٥ ص ١٢٦ .

(١٣٣) المرجع السابق حـ ٥ ص ١٢٦ .

(١٣٤) المرجع السابق حـ ٥ ص ١٣٠ .

(١٣٥) المرجع السابق حـ ٥ ص ١٣٣ـ١٣٤ .

(١٣٦) المرجع السابق حـ ٥ ص ١٢٣ .

الحجاز[١٣٧] ونجد في النقوش اللحيانية « عبد ود »اي كاهن ود[١٣٨] . وكان لود معبد آخر في دومة الجندل له سدنة وأتباع[١٣٩] ، وهكذا يقوم الدليل على انتشار عبادة الثور ـ رمز الخصب والمطر ـ في جنوب الجزيرة وشمالها[١٤٠] ولكي تتم صورة انتشار هذه العبادة في الأعصر القديمة نحاول ان نمر ـ ولو مراً سريعاً ـ بدولة الانباط في وادي موسى بشرق الاردن ، تلك الدولة التي اتخذت بطرا عاصمة لها وكانت البداوة تغلب على نشأتها[١٤١] . ازدهرت دولة الانباط لوقوعها على طريق القوافل وتدل اغلب الاسماء الشائعة عندهم كحارثة ومليكة وجذيمة وكليب ووائل ومغيرة وقصي وعدي ... على انهم اقرب الدول القديمة الى عرب الحجاز[١٤٢] « كما ان تركيب لغتهم يشبه تركيب النحو العربي المعروف لدينا ... لقد استعمل الانباط الخط الآرامي المشتق من الفنيقي ، ولكنهم حوروه وصقلوه تدريجياً حتى أصبح قائماً بذاته ، ومنه انحدر الخط العربي الكوفي »[١٤٣] .

ومن ملوك الانباط الحارث الاول (١٦٩ ـ ١٤٦ ق.م) والثاني (١١٠ـ ٩٦ ق.م) وعبادة الاول (٩٠ ق.م) ، أما أشهر ملوكهم فالحارث الثالث (٨٧ ـ ٢ ق.م) الذي هزم اليهود في مواقع عدة وحاصر القدس ، وحرر اهل دمشق من نير السلوقيين[١٤٤] وانتهت دولة الانباط على يد تراجان الروماني اذ قضي عليها في عام ١٠٦م والحقها بالمقاطعة العربية Arabia Provincia

---

(١٣٧) المرجع السابق حـ ٥ ص ١٥٢ .
(١٣٨) التاريخ العربي القديم ص ٢٠٩ .
(١٣٩) تاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٥ ص ١٢٦ .
(١٤٠) وقد عثر على كتابات في أعالي الحجاز ذكر فيها « صلم » وهو صنم كانت عبادته مزدهرة بمدينة تيماء ، ويرجح بعض المستشرقين تاريخ ازدهار عبادة هذا الصنم الى حوالي سنة ٦٠٠ قبل الميلاد ، وقد ورد اسمه علما لاشخاص في الكتابة اللحيانية ورمز عنه برأس ثور في كتابة قوم ثمود » المرجع السابق حـ ٥ ص ٨ .
(١٤١) يروي ديودورس انه كانت لهم قوانين تمنع زراعة الاشجار وبناء البيوت او استعمال الخمور لانها تؤدي الى الخضوع . (انظر محاضرات في تاريخ العرب ص ٤١) .
(١٤٢) المرجع السابق ص ٤١ .
(١٤٣) انظر المرجع السابق ص ٤١ـ٤٢ .
(١٤٤) المرجع السابق ص ٣٨ .

التي أنشأها في الطرف الجنوبي من سورية لتحميها من هجمات البدو ، وجعل عاصمتها بصرى التي تحولت اليها طريق التجارة[١٤٥] .

لقد عبد الانباط الهة متعددة كذى شرى والعزى واللات وهبل وظلت عبادة هذه الالهة معروفة في الحجاز حتى ظهور الاسلام[١٤٦] .

غير ان اعظم الهتهم هو « ذو شرى »[١٤٧] الذي ورد اسمه في كتابات بطرا Petra وبصرى . وقد كان له معبد فخم في بطرا[١٤٨] ، وكان الناس يقصدونه من أماكن نائية للاحتفال به وتقديم القرابين اليه[١٤٩] . وذكر أفيفا نيوس Epiphanius أن النبط كانوا يحتفلون بالاله « ذي الشرى » "Dusares" في مدينتي بطرا Petra « والوسا "Elusa" » الواقعة على مقربة منها في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الاول December من كل عام وكانوا يقدمون الضحايا الى معبد ذلك الاله[١٥٠] ، وكانت جدران المعبد فيما ذكر افيفانيوس مكسوة بغشاء من الذهب والتصاوير الجميلة التي تمثل تقديم القرابين الى الصنم المستقر على قاعدة مكسوة بالذهب [١٥١] .

ومن بين الاسماء التي عثر عليها في كتابات العربية النبطية اسماء منسوبة الى هذا الاله كـ « عبد ذي شرى » و « تيم ذي شرى »[١٥٢] . واطلقت كلمة «حرم» في كتابة نبطية عثر عليها في بطرا « حرم ذي الشرى الاله ربنا » على المنطقة المقدسة المحيطة بالصنم حتى حدودها المرسومة[١٥٣] .

غير اننا لا نعرف كثيراً عن هذا الاله ، ولكن هناك اشارة وردت في كتابات اليونان واللاتين تلقي بعض الضوء عليه وترده الى هذا الاله المتمثل بالثور ، « فذ والشرى » في رأي هؤلاء الكتاب يقابل الاله « باخوس ـ ديونيسوس[١٥٤] ،

---

(١٤٥) المرجع السابق ص ٤٠ .
(١٤٦) المرجع السابق ص ٤٢ .
(١٤٧) المرجع السابق ص ٤٢ .
(١٤٨) تاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٥ ص ١٠٩ .
(١٤٩) المرجع السابق حـ ٥ ص ١٠٩ .
(١٥٠) المرجع السابق حـ ٥ ص ١٠٩ـ١١٠ .
(١٥١) المرجع السابق حـ ٥ ص ١١٠ .
(١٥٢) المرجع السابق حـ ٥ ص ١١٠ .
(١٥٣) المرجع السابق حـ ٥ ص ١٦٤ .
(١٥٤) انظر المرجع السابق حـ ٥ ص ١٠٩ و ١٧٤ .

وهذه الاشارة تكفي لتعيد الى الاذهان عبادة الاغريق للالهة الثور ديونيسوس المتصلة بالههم الثور واتحادهم به في احتفالاتهم التي يقيمونها كل عام .

نخلص من هذا كله الى ان عبادة العرب داخل جزيرتهم قد تأثرت بعبادة الساميين القدماء والهتهم ، وتأثرت اكثر من ذلك بعبادة العرب الشماليين لكثرة الاتصال بهم[١٥٥] للتجارة وارتياد مناطق الرعي الخصبة ذات الجو اللطيف . وعرف العرب عبادة « بعل »[١٥٦] اله الخصب والمطر وما زال معناه في اللغة العربية يحمل اشارات واضحة من عباداته القديمة،فبعل في اللغة كل شجر او زرع لا يسقى ، والبعل هو ما سقته السماء ، وهو الزوج وسمي زوج المرأة بعلاً لأنه سيدها ومالكها ، ويقال انا بعل هذا الشيء اي ربه ومالكه[١٥٧] ، ومعنى « بعل » في اليمنية الجنوبية « الرب »[١٥٨] ، ولا يخلو من مغزى ان نذكر هنا ان احد معاني الثور في اللغة العربية : « السيد »[١٥٩] وهذه اشارة واضحة الى التقاء الثور ببعل عندما كان الثور تجسيداً لهذا الاله « السيد » المسمى « بعلاً » .

ويبدو ان الاصنام العربية قد تعرضت على مر القرون لتأثيرات خارجية مستمرة ، ولكنها بدأت تتعرض لتيارات توحيدية منذ بداية القرن الرابع بعد الميلاد وصارت هذه التيارات التوحيدية تقوى على مر الزمن حتى نسيت كثير من الاصنام وحلت أخرى محلها او قضى عليها هذا الخيط التوحيدي الذي اخذ يعبر اليها من اليمن وسورية وفلسطين ومن الحيرة[١٦٠] ، بتأثير المسيحية واليهودية .

كما ان تغيراً كبيراً طرأ على عبادة الاصنام اليمنية القديمة ، فلم تعد الفترة التي تسبق الاسلام مباشرة تذكر منها شيئاً ... وهناك اشارات في الكتابات اليمنية . تدل على اتجاه توحيدي ظهر بظهور الاله « ذو سموى » ، رب السماء وهو عقيدة جديدة تدعو الى عبادة اله واحد هو « رب السماء » ويرى بعض المستشرقين ان هذه العقيدة نتيجة اتصال أهل اليمن باليهودية والنصرانية[١٦١] .

---

(١٥٥) انظر المرجع السابق حـ ٥ ص ١٥٧-١٥٨ .
(١٥٦) قال تعالى : اتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين (الصافات الآية ١٢٢) .
(١٥٧) انظر اللسان مادة (بعل) .
(١٥٨) تاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٥ ص ١٤٣ .
(١٥٩) اللسان (ثور) .
(١٦٠) انظر بلاشير ص ٦٥ .
(١٦١) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٥ ص ١٤٤-١٤٥ .

ومهما يكن من شيء فقد بقيت بعض الاصنام القديمة تحتفظ بشيء من القدسية في نفوس عرب الجزيرة وشمال الحجاز الى زمن متأخر فقد أشار « اصطيفان » البيزنطي المتوفى حوالي سنة ٦٠٠م الى سعة معبد Dusares « ذى الشرى » وأهميته وانتشار عبادته بين عرب Dacharenoi (١٦٢) .

ولا يعنينا هنا ان نتقصى العبادة الوثنية قبيل الاسلام ، وان كان واضحاً ان الحركة الدينية التوحيدية قد شهدت توحيداً في اللغة الادبية للعرب جميعاً وان كثيراً من العبادات والترانيم التي تضمنتها اللهجات العربية المحلية قد نسيت بنسيان هذه اللهجات وبتغلب هذه اللغة العامة عليها واصطناعها لغة للشعر والخطابة والدين .

ولكن وهذا هو المهم ـ الا نجد شيئاً من تلك الديانة المتصلة بالثور ؟ أو ليس ممكنا ان تبقى بعض اصدائها في اطواء الادب او العادات والطقوس الاجتماعية . ان كل ما في جزيرة العرب يدعو الى قدسية الثور فهو رمز المطر والخصب والجزيرة لا تحتاج الى شيء كحاجتها الى الماء ، وهي من البلاد التي يتخذ فيها الصيد أهمية عظمى لقلة الغذاء وفقر البيئة ، واذا كان الصيد يتخذ أهمية كبيرة ومغزى دينياً في البلاد التي تحتاج اليه في غذاء ابنائها(١٦٣) ، فأحر به ان ينال اهتماماً خاصاً في بيئة كالجزيرة العربية .

وهذا ما تصوره قصائدهم التي وصلت الينا ، في سرد قصة الثور ، كما نجد أثر ارتباط البقر بنزول المطر في بعض عاداتهم وسلوكهم في ظروف معينة . لقد ذكر الرواة طريقة من طرق الجاهلية في الاستسقاء اذا انحبس المطر عنهم وضاقت حالهم في الجفاف والمجاعات والقحوط ، اذ كانوا يجمعون حطب السلع والعشر فيوقرون به ظهور البقر ، و « قيل يعلقون ذلك في اذنابها ثم تلعج النار فيها ، ثم يستمطرون بلهب النار المشبه لسنى البرق . وقيل يضرمون فيها النار

---

(١٦٢) المرجع السابق حـ ٥ ص ١١٠ .

(١٦٣) يقرر مؤلف كتاب « أصل الدين وتطوره » أن البيئة تقرر القيم الدينية التي تؤثر في الجماعة عامة وفي الفرد خاصة ، ولهذا نظر الهنود الى البقرة نظرة تقديس لانها مهمة جداً مصدراً للغذاء ويوافق المؤلف الاستاذ King في ملاحظته بعدم وجود مغزى ديني للصيد في افريقيا حيث يتوفر الغذاء من غير ما حاجة الى الصيد

Hopkins W. Origin and Evolution of Religion Yale University Press, 1924, 6.

وهم يصعدونها في الجبل فيمطرون[١٦٤] ويعللون اضرام النيران في اذناب البقر بأن ذلك انما فعلوه على سبيل التفاؤل ، فالنار اشارة الى البرق ، والبرق مجلبة للمطر[١٦٥] » .

ويخطىء التوفيق هؤلاء الرواة في تعليلهم هذا ، فالشيء الواضح ـ وقد المنا بتاريخ الثور وعبادته وما يرمز اليه ـ هو هذه العلاقة بين البقر والمطر وهي علاقة قديمة ـ كما مر بنا ـ اذ يمثل هذا الحيوان قوة تتحكم في السحب وتنزل المطر ، وما عادة استسقائهم بالبقر الا من مخلفات عبادة الثور وما يرمز اليه من الخصب والارواء ، ويبدو ان النار المضرمة في حطب السلع والعشر انما هي تطور لطقوس واحتفالات قديمة تتصل بهذا الاله ـ الثور .

وأهم من ذلك كله هذ الصور الكثيرة التي نجدها في القصائد الجاهلية ـ وهنا نصل الى ما كنا نهدف اليه من هذه الرحلة البعيدة ـ فقد خلف لنا الجاهليون صوراً كثيرة تسرد قصة ثور الوحش ، نقرأها ونعجب بها ولكننا نخطىء في مغزاها وتطورها من أصولها الاولى ان درسناها في أطار القصائد التي انتظمتها من غير ما نظر الى الآفاق التي انحدرت منها .

والشي الذي لا شك فيه ان هذه الصور ـ وقد مر بك نماذج[١٦٦] ثلاثة منها ـ انما هي تطور لترانيم او ملاحم او « تفوهات » دينية قديمة تتصل بقدسية الثور وما كان يرمز اليه من الخصب والمطر والاتحاد به بالصيد ، ولكنها لم تعد تحمل مغزى دينياً بل انتهت الى الشعراء الجاهليين المعروفين تقاليد أدبية وان لم تخل من اشارات وسمات هي بقايا قدسية انقرضت يستطيع الملم باصولها من فهمها والنفاذ الى ايماآتها ومراميها . فكل صورة في القصائد التي تسرد قصة الثور تذكر ليلة ممطرة او اشارة الى ليلة ممطرة ، او الى المطر مما يدل دلالة واضحة على ذلك الارتباط القديم بين الثور والخصب والمطر ، وها هي ذي أمثلة على ذلك . قال أوس بن حجر[١٦٧] :

---

(١٦٤) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٥ ص ٣٤١ ، واللسان (سلع) .
(١٦٥) تاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٥ ص ٣٤١ .
(١٦٦) من شعر النابغة وزهير ولبيد .
(١٦٧) ديوان اوس بن حجر ص ٢ .

وكأن أقتادي رميتُ بها
بعدَ الكلال ملمعاً شَبَبا[١٦٨]
من وحش أنبط بات منكرساً
حرجاً يعالجُ مظلماً صخبا[١٦٩]

وقال عبيد بن الابرص[١٧٠] :

وكأنّ أقتادي تضمّن نسعَها
من وحشِ أورالٍ هبيطٌ مفردُ[١٧١]
باتت عليه ليلةٌ رجبيةٌ
نصباً تسحُّ الماءَ او هي أسودُ[١٧٢]

وقال النابغة[١٧٣] :

كأن رحلي وقد زال النهارُ بنا
يوم الجليل على مستأنسٍ وَحدِ[١٧٤]
من وَحْشِ وَجْرةَ موشيّ أكارُعهُ
طاوي المصير كسيف الصيقل الفَرد
سرت عليه من الجوزاءِ سارية
تزجي الشمالُ عليه جامدَ البَردِ[١٧٥]

وقال النابغة ايضاً[٧١٦] :

---

(١٦٨) الاقتاد : مفردها قتد وهو من ادوات الرحل او الرحل كله ، الشبب : ثور الوحش الذي تم تمامه وذكاؤه ، والملمع : الذي في جسمه بقع تخالف سائر لونه .

(١٦٩) أنبط وانبطة : موضع كثير الوحش ، منكرس : متجمع متقبض . حرج : لاجيء الى مضيق من الارض ، والمظلم الصخب صفة لليل ، وصخبه : لاشتداد وقع المطر فيه ...

(١٧٠) ديوان عبيد بن الابرص ص٥٩ .

(١٧١) النسع : حبل طويل تشد به الرحال . الهبيط : المهزول الضامر . مفرد: يرعى وحده .

(١٧٢) رجبية : ليلة ليلاء ذات ريح . النصب : البلاء . ويروى : اوهي ابرد

(١٧٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٣١ .

(١٧٤) زال النهار : انتصف . الجليل واد قرب مكة .

(١٧٥) سرت : جاءت ليلا . سارية السحابة الممطرة ليلا .

(١٧٦) ديوان النابغة الذبياني ص ٥١ـ٥٢ .

كأنما الرحلُ منها فوقَ ذي جُدَدِ
ذَبَ الرياد الى الأشباح نظّار[177]
مطرّدٌ أُفردتْ عنه حلائلُه
من وحشِ وجرةَ او من وحش ذي قار[178]
مجرّسٌ وحدٌ جأبٌ أطاعَ له
نباتُ غيث من الوسمي مبكار[179]

وقال زهير بن ابي سلمى[180] :

كأن كوري وأتساعي وميثرتي
كسوتهن مشبّاً ناشطاً لهقا
رعى بغيث لأوراكٍ فناصفةٍ
من الشتاء فلما شأوه نفقا
فأدركته سماءٌ بينها خلَلٌ
تروي الثرى وتسيل الصفصف القرقا

وقال لبيد بن ربيعة[181] :

فكأنها هي يومَ غبَ كلالها
او أسفع الخدين شاةُ اران[182]
حرج الى أرطاته وتغيبت
عنه كواكب ليلةٍ مدْجان[183]

---

(١٧٧) الجدد : الطرائق ، واراد بذلك : الثور الوحشي تعلو ظهره خطوط بيض وحمر . الذب : الدفع الرياد : الارتياد .
(١٧٨) مطرد : مشرد .
(١٧٩) المجرس : الخائف لسماعه جرس الانسان أي صوته . جأب صلب شديد . أطاع له الكلأ : اتسع وأمن رعيه حيث شاء . الوسمي : اول المطر ومثله المبكار .
(١٨٠) ديوان زهير بن ابي سلمى ص ٤٢ـ٤٥ . وقد مرت بنا الابيات .
(١٨١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (الكويت ١٩٦٢) ص ١٤٣ .
(١٨٢) كلالها : اعياؤها . شاة : ثور ، الأران : العدو الشديد . السفعة سواد يضرب الى الحمرة .
(١٨٣) حرج : مضط اليها . ارطاة : شجرة . ليلة مدجان : اذا البست غيماً . مدجان : دائمة المطر .

وقال[184] :

كأخنسَ ناشطٍ جادت عليه
بُبرقة واحفٍ احدى الليالي[185]
أضل صواره وتضيّفته
نطوفٌ أمرها بيد الشمال

وقال بشر بن أبي خازم الاسدي[186] :

كأن قتودها بأرينبات
تعطّفهنّ موشيٌّ مشيح[187]
تضيّفته الى أرطاةِ حقفٍ
بجنب سويقةٍ رهمٌ وريح[188]

وقال[189] :

فباتت عليه ليلة رجبيةٌ
تكفّئه ريح خريقٌ وتُمطر[190]

وقال[191] :

فألجأه شفّان قطرٍ وحاصبٌ
بصحراءَ مرْتٍ غير ذات معرّس[192]

وقال[193] :

---

(١٨٥) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ٧٦ـ٧٧ .
(١٨٥) الاخنس : الثور وقد مر شرح البيتين .
(١٨٦) ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي (دمشق ١٩٦٠) ص
(١٨٧) اريتبات = : اسم موضع . المشيح : الحذر .
(١٨٨) تضيفه : انزله وألجأه . الحقف ما اعوج من الرمل واستطال . سويقة أسم واد او جبل . الرهم : المطر الضعيف الدائم الصغير القطر .
(١٨٩) ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي ص ٨٢ .
(١٩٠) ليلة رجبية من ليالي شهر رجب ورجب من شهور الربيع يكون فيه برد ومطر ، الريح الخريق : الريح الباردة الشديدة الهبوب .
(١٩١) ديوان بشر ص ١٠٣ .
(١٩٢) الشفان : الريح الباردة مع المطر . الحاصب ريح شديدة وصحراء مرت: لا نبت فيها .
(١٩٣) ديوان بشر ص ٢٠٤ .

كـأخـنس ناشـط باتـت عليـه
بحـربـة ليلـة فيهـا جهـام(١٩٤)

وتشير قصة الثور التي يسردها الشاعر الجاهلي ـ مع مالها من هذا المغزى الديني القديم ـ الى فكرة القدر ، وعلاقة فناء الثور بالفناء البشري على نحو يختلف عما سردناه في الطقوس الاغريقية .

يقول الجاحظ :

« ومن عادة الشعراء اذا كان الشعر مرثية او موعظة ان تكون الكلاب التي تقتل بقر الوحش ، واذا كان الشعر مديحاً ، وقال : كأن ناقتي بقرة من صفتها كذا ، ان تكون الكلاب هي المقتولة ، ليس على ان ذلك حكاية عن قصة بعينها ، ولكن الثيران ربما جرحت الكلاب وربما قتلتها ، وأما في أكثر ذلك فانها تكون هي المصابة ، والكلاب هي السالمة والظافرة ، وصاحبها الغانم »(١٩٥) .

فالموعظة تشير الى فكرة فناء الاحياء وزوال كل شيء حتى الثور رمز القوة واستمرار الحياة ، والرثاء واضحة علاقته بالموت . ولعل الكلاب التي تطارد الثور « تطور » لاله الموت الذي ترصد ببعل في الملحمة الاوغاريتية .

وهكذا نبلغ نهاية المطاف بعد رحلة بعيدة فاذا بالقصيدة الجاهلية تتكشف في قصة الثور عن أبعاد جديدة تتصل بقصة الانسان الخالدة في دورة الحياة والموت واختلاف الفصول وقدسية الحيوان ، وتلخص تاريخاً طويلاً من التطور مرت به حتى ظهرت في اطارها على ايدي شعراء الجاهلية المعروفين . انها تحفل برموز واشارات كانت تبدو لنا وكأنها ملاحظات من الشاعر دقيقة بارعة ولكنها لا تخفي وراءها شيئاً ، وان كنا نستطيع ان نفهمها ونتحدث اليها لو سلكنا الطريق المفضية اليها .

---

(١٩٤) الجهام : سحاب قدهراق ماءه .

(١٩٥) الجاحظ ، الحيوان ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، حـ ٢ ص ٢٠ .

المصادر والمراجع العربية

ابن جني ، الخصائص ، مطبعة الهلال مصر ١٩١٣ ٠
ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ ٠
ابو الفرج الاصبهاني ، الاغاني ، بولاق ١٨٦٨ ٠
انيس فريحة ، الفصح في امسه البعيد بيروت ١٩٥١ ٠
پلوتارخوس ، ايزيس واوزيريس (مترجم) ، القاهرة ١٩٥٨ ٠
الجاحظ ـ الحيوان مطبعة الحلبي القاهرة ، ١٩٣٨ ٠
جبرائيل جبور ـ عمر ابن ربيعة ، بيروت ١٩٣٥ ٠
جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام بغداد ٠
ديتلف نلسن ، التاريخ العربي القديم (مترجم) ، القاهرة ١٩٥٨ ٠
ريجيس بلاشير ، تاريخ الادب العربي (مترجم) دمشق ، ١٩٥٦ ٠
شوقي ضيف ، تاريخ الادب العربي (دار المعارف بمصر) ١٩٦٠ ٠
صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، بغداد ، ١٩٥٩ ٠
غوستاف فون غرنباوم ، دراسات في الادب العربي (مترجم) ، بيروت ١٩٥٩
محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، القاهرة ١٣٠٨ هـ
محمد بن سلام الجمحي ، طبقات الشعراء ٠ دار المعارف بمصر ٠
هارولد لامب ، الاسكندر المقدوني (مترجم) ، بغداد ، ١٩٦٥ ٠
هشام بن محمد الكلبي ، الاصنام ، القاهرة ، ١٩٦٥ ٠

المصادر والمراجع الاجنبية

Conrad, Jack Randolph; The Horn and the Sword, New York, 1957.
Frankfort, Henry; Kingship and the Gods, Chicago, 1948.
Gordon, Cyrus H., Ugaritic Literature, Roma, 1949.
Harrison, Jane E.; Ancient Art and Ritual, Great Britain, 1951.
Herodotus; The Histories (Penguin), 1960.
Hopkins, W.; Origin and Evolution of Religion, Yale University Press, 1924.
Nicholson, R.; A literary History of the Arabs, Cambridge, 1956.
Speiser, E.A.; Religion of the Ancient Near East.
Spence, Lewis Myths and Lengends of Babylonia and Assyria, London, 1928.

دواوين الشـــعراء

ديوان الاعشى (صادر) بيروت ، ١٩٦٠ ٠
ديوان امرىء القيس ـ القاهرة ، ١٩٥٨ ٠
ديوان اوس بن حجر (صادر) بيروت ، ١٩٦٠ ٠
ديوان بشر بن أبي حازم الاسدي ، دمشق ١٩٦٠ ٠
ديوان زهير بن ابي سلمى ، القاهرة ١٣٠٨ هـ ٠
ديوان عبيد بن الابرص (صادر) ، بيروت ، ١٩٥٨ ٠
ديوان النابغة (صادر) بيروت ، ١٩٦٠ ٠
ديوان لبيد بن ربيعة (الطوسى) طبعة الكويت ١٩٦٢ ٠

المجلات والمراجع العامة

البحوث والمحاضرات (مجمع اللغة العربية) القاهرة ، ١٩٦٢ ٠
سومر ، المجلد السادس (مطبعة الرابطة) ، ١٩٥٠ ٠
لسان العرب لابن منظور (نسخة مصورة عن طبعة بولاق) ٠

Encyclopeadia Britanica,
J. R. A. S., Vol. 1, 1912.
The Westminster Historical Atlas.